محمد بن ناصر العبودي

إلى إريتريا

بعد ٣٦ سنة

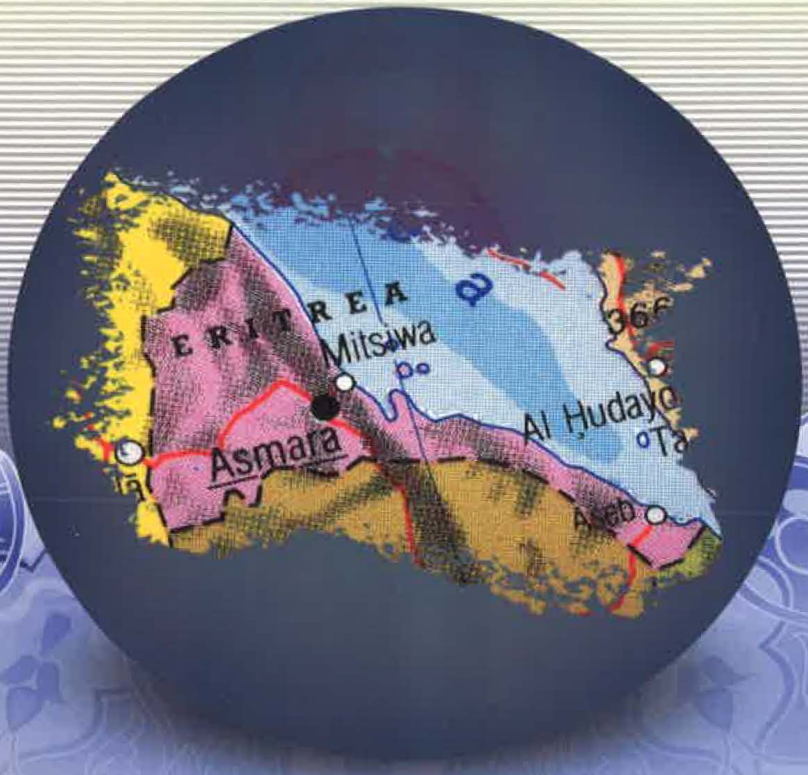

إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ⓒ محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

إلى اريتريا بعد ٣٦ سنة. / محمد ناصر العبودي . -

الرياض ، ١٤٢٤هـ.

١٩٦ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ٤ - ٨٨٦ - ٤٣ - ٩٩٦٠

١- اريتريا - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٦,٣٠٤ ١٤٢٤/١٠٤٧

رقم الايداع ١٤٢٤/١٠٤٧

ردمك : ٤ - ٨٨٦ - ٤٣ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض -المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز -، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م..

(٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطبعة المسموعة في الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة ((جورجيا)). طبع في مطابع العلا في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار، (من سلسلة الرحلات الهندية). نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة عام ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا في الرياض عام ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين، رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى. وهو هذا الكتاب.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وماكاو، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبيرية)، طبعته مطابع النرجس في الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين.

(٩٦) إقليم أورنبورغ من (سلسلة الرحلات في جنوب روسيا).

(٩٧) إلى إرتيريا بعد ٣٦ سنة، وهو هذا الكتاب.

مؤلفات المطبوعة في غير فن الرحلات

(٩٨) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٩٩) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٠) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠١) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٢) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(١٠٣) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٤) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(١٠٥) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(١٠٦) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(١٠٧) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠٨) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠٩) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(١١٠) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١١١) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة عام ١٤١٩هـ.

(١١٢) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١١٣) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١١٤) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١١٥) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١١٦) " العالم الإسلامي: واقع وتوقعات " نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١١٧) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١١٨) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١١٩) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٠) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٢١) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(١٢٢) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض عام ١٤٢٣هـ.

(١٢٣) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبد الله العبودي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين، وبه نستعين، وعليه نعتمد في أمور الدنيا والدين.

أما بعد، فإن هذا كتيب يتحدث عن رحلة خاطفة إلى دولة إرتيريا، كانت هي الزيارة الثانية لتلك البلاد، أما الزيارة الأولى فإنها كانت قديمة مضت عليها ٣٦ سنة.

وفي السنين الـ ٣٦ تلك حصلت في إرتيريا ماجريات، وحدثت أحداث جسام، تُوِّجَت باستقلال البلاد، وبروز دولة إرتيريا على المسرح الدولي، وحصولها على عضوية الأمم المتحدة.

وقد جرت للأوضاع الدينية فيها أحداث جسيمة، تبعت الأحداث السياسية فيها، كما هي طبيعة الأمور؛ لأن البلاد يتألف سكانها من ٦٠٪ من المسلمين، و٤٠٪ من المسيحيين، ولكن نقص العشرة بالمائة من العدد في المسيحيين يعوضه المسيحيون بالنشاط السياسي، والاتصالات الخارجية بالدول الفاعلة على المسرح الدولي التي تميل بطبيعة تدينها السابق، وثقافتها الحاضرة بالديانة المسيحية، وما ترتب على ذلك من ثقافة مسيحية، وخاصة بالدوائر الدينية فيها.

ومع أن كثيراً من المسيحيين في الدول الغربية صاروا لا

يعتقدون بالديانة المسيحية، وعزلوا الدين تماماً عن الدولة، بل إنهم صاروا لا يلقون له بالاً في تصرفاتهم الداخلية، وفيما يتعلق بالقوانين التي يستنونها، والأوامر التي يوجهونها لشعوبهم، فإن أكثرهم لا يزال يعتبر الديانة المسيحية رمزاً لثقافتهم، وجزءاً من ماضيهم التاريخي الذي يعتزون به.

على حين أن الدول الإسلامية، تبعاً لما عليه شعوبها، أكثر متابعة لما يتعلق بالدين الإسلامي في الخارج، بل أكثر اهتماماً به، ولكن حكوماتها - تبعًا لضعف شعوبها - ليس لها من التأثير على المسرح الدولي ما للدول ذات الماضي المسيحي، كما هو معروف.

والأسباب لضعف تأثير الشعوب المسلمة على حكوماتها، وبالتالي تأثيرها على المسرح الدولي، كثيرة ومعقدة، ويمكن أن تتلخص بأنها عدم العمل بما أمرهم الله به ورسوله ﷺ من النصح للحكام، ومن الاجتماع على خير المجموع، بل حتى في العمل الفردي نجد بعضهم لا يبالون بذلك، لأنهم يميلون إلى ما فيه الشهوة والراحة والدعة. أما الأوامر الدينية التي يشق على بعض النفوس تحملها من الإيثار بالمال، والإنصاف في العلاقات ما بينهم وبين إخوانهم المسلمين، فضلاً عن الجهاد في سبيل الله، ولا حتى تجهيز الغزاة في سبيل الدفاع عنهم بالأموال والأعمال، فإنها صعبة عليهم، وهي الأمور التي بها قوام المسلمين، وعليها مدار عزهم ومنعتهم.

أما الحكام فإن بعضهم يعتقدون أن الدعاة إلى الله ربما لا يقنعون بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، بل لا يقنعون حتى بدعوة المسلمين إلى تطبيق الإسلام، حتى يتطلعوا إلى أن ينتزعوا الحكم من الحكام، وأن يكونوا هم الحكام والقادة في البلاد، كما حدث في إيران حين حصلت فيها الثورة الإيرانية بقيادة (روح الله الخميني)، كما هو معروف.

هذا وكنت إبان الزيارة الأولى إلى إرتيريا أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكنا قررنا إرسال وفد برئاستي إلى بعض الأقطار الإفريقية، ومنها إرتيريا والحبشة التي صارت تسمى (إثيوبيا)، اختارت هذا الاسم اليوناني على الاسم العربي (الحبشة) التي تعني بلاد الأحباش، أو الأحابيش، ومعنى الأحباش المختلطون، لأن أوائلهم كانوا هاجروا من جنوب الجزيرة العربية في تاريخ يقدر أوله بألف عام قبل ميلاد السيد المسيح، وآخره ستمائة عام قبل الميلاد، فاختلطوا بالسكان المحليين من الحاميين في هذه البلاد الكوشيين الأفارقة الذين كانوا سكان البلاد قبلهم، وتغلبوا عليهم وملكوا البلاد دونهم.

أما الاسم اليوناني (إثيوبيا)، فإنهم ذكروا أن معناه (الوجه المحترق بالشمس)، وربما كان معناه المحترق فقط، أو الوجه المحترق فقط، ولكنه يقصد به أنه احترق من الشمس، وبلفظ أوضح: الذي اسودَّ من الشمس.

وكانت إرتيريا آنذاك واقعة تحت سلطان المسيحيين الذين

كان الإمبراطور هيلاسلاسي آخر ملوك الحبشة يعتبر رأسهم، فكانت خيرة الأراضي في البلاد لهم، موقوفة عليهم، ووكل استغلالها لكنائسهم، ولكن كان الجميع يعلمون أن أغلبية السكان في الحبشة كلها من المسلمين، حتى يقول المسلم الذي يقلل عدد المسلمين بأنهم يؤلفون ٦٥٪ من عدد السكان، والمقللون لهم، ومنهم الدوائر الحكومية تقول: إنهم نصف السكان، لذلك كان لابد أن تبدي الحكومة الحبشية شيئاً من المجاملات الشكلية للمسلمين.

وهكذا كان الأمر في إرتيريا والحبشة، ومعروف أن علاقة الحبشة بإريتريا ربما كانت علاقة انتداب، بعد أن هزمت إيطاليا التي كانت تستعمر إرتيريا في الحرب، وبالتالي زال استعمارها عنها، إلاَّ أنَّ (هيلاسلاسي) أثر على البرلمان المحلي في إرتيريا، فجعله يصوت للاتحاد مع إثيوبيا.

غير أن أهل إرتيريا من مسلمين ومسيحيين، ثاروا على حكم هيلاسيلاسي، وكان يتزعمهم المسلمون، لذلك لقوا الدعم والتأييد من الدول العربية على اعتبار أنهم مجاهدون، يريدون الخلاص من الحكم الحبشي المتعصب.

ثم طرأت تطورات على البلاد، منها الانقلاب الشيوعي الذي قام به الضابط في الحبشة (هيلا مريم)، فأسقط به النظام الملكي في إثيوبيا في خطوات متدرجة أفضت إلى ذلك، مع أن الاثنين من المسيحيين، وحتى إن اسم كل واحد منهما يدل على ذلك،

فالإمبراطور (هيلا سلاسي) معنا اسمه: (القوة الثالثيه)، لأن (هيلا) في الأمهرية هي (حَيْل) بالعربية التي معناها: القوة، وهي كلمة لا تزال مستعملة في العامة النجدية، ومنها جملة: (بالحيل) أي: بالقوة، أما في اللغة الفصحى فإنه كان يقال فيها: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، و(لا حيل ولا قوة إلا بالله).

وأما (سلاسي) فإنها (ثلاثي) المنسوب إلى ثلاثة، ولا نقول معناها، وإنما نقول: إنها هي، هي، وإنما تغير لفظها بين الأمهرية الحبشية والعربية، و(الثلاثي) هذه تعني: الأب، والابن، والروح القدس في الديانة المسيحية، وهي التي تعنيها عقيدة التثليث التي تقول: إن اللاهوت، وهو الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، اتَّحد بالناسوت، وهي مريم، فنتج عن ذلك الروح القدس، وهو عيسى عليه السلام.

وإذاً معنى اسم الإمبراطور الأخير للحبشة: القوة الثلاثية.

وأما الذي ثار عليه فإن اسمه (هيلا مريم)، يعنى حيل مريم عليها السلام، بمعنى قوتها، ومع ذلك هو رجل شيوعي، لا يظهر أنه يعتقد بالدين.

وقد أضعفت الحرب مع الإرتيريين الساعين إلى الاستقلال إلى جانب السنوات العجاف من المحل، بل من المجاعات نظامه، فهوى تحت ضربات خفيفة من جبهة تحرر (تقراي) التي كانت تحارب من أجل استقلال إقليم (تقراي) من إثيوبيا أول الأمر، مثلما

يفعل الإرتيريون، غير أنها رأت أن النظام الشيوعي ضعيف إلى درجة أطمعتها في حكم إثيوبيا كلها، فنجحت في ذلك.

وتولت الحكم في إثيوبيا كلها بقيادة (ملس زيناوي)، ولكنها أعلنت أنه بإمكان من يريد الانفصال من الشعوب الإثيوبية أن ينفصل عنها بموجب ترتيبات خاصة، وقد انفصلت إرتيريا، ثم جرت حوادث أخرى سوف نستعرضها في المقدمة في فصل الأوضاع الحاضرة في إرتيريا.

ولكننا نشير هنا إلى أنني - وإن لم أكن زرت إرتيريا بعد الزيارة السابقة القديمة - فإنني لست بعيداً عما يجري فيها من ناحية المتابعة، ومعرفة مجريات الأمور، غير أننا في رابطة العالم الإسلامي لم نتدخل تدخلاً مباشراً إلا فيما يتعلق بنقل الدعاة الذين كانوا يتبعون الرابطة إلى معسكرات اللاجئين في شرق السودان، فضلاً عن المساعدات العديدة التي قدمتها الرابطة للنازحين وللاجئين في السودان أيضاً.

خريطة إريتريا

تسميتها:

لم تكن إرتيريا في القديم وحدة سياسية كما هي عليه الآن، بل كانت سواحلها تعتبر جزءاً من الطراز الإسلامي، وهو الأقطار، أو لنقل السواحل الواقعة على البحر الأحمر، ابتداء من شمال الصومال جنوباً، حتى سواكن على ساحل جمهورية السودان في الوقت الحاضر شمالاً.

وقد سمي (الطراز الإسلامي) لأنه بلاد مسلمة، غير عريضة الموقع، تليها من جهة الغرب بلاد الحبشة المسيحية.

وكان بعض تلك الأماكن تسمى في القديم بلاد الزيلع، وبعضها في شمالها تسمى بلاد البجة.

وفي وقت من الأوقات كان جزء منها يسمى بلاد الجبرت، واحدهم (جَبَرْتي) غير أن الجبرت هم مسلمو الحبشة.

وإرتيريا لا تشذ عن هذه القاعدة، فسواحلها كانت جزءاً من (الطراز الشمالي)، وجهاتها الغربية، وبخاصة الجنوبية الغربية كانت جزءاً من بلاد الحبشة المسيحية.

ولا ينبغي أن يفسر قولنا بأن مناطق (الطراز الإسلامي) إسلامية، وما والاها من جهة الغرب مسيحي فذلك صحيح في العصور المتأخرة، وإلا فإنه قد قامت دول وممالك وسلطنات إسلامية في بلاد الحبشة نفسها، فقامت دولة في منطقة (شوع) التي

فيها العاصمة الآن (أديس أبابا)، واستمرت تلك الدولة لمدة طويلة، تلتها ممالك إسلامية أخرى.

ولكن استعان ملوك الحبشة المسيحيون ببلاد أوروبا المسيحية في حروبهم ضد المسلمين، ولم يكن للمسلمين آنذاك ناصر من دول مسلمة مهتمة بهم حتى العصر الحديث الذي بقيت فيه الحبشة ذا طابع مسيحي بملوكها، ورجال الإدارة فيها، مع أن معظم سكانها هم من المسلمين، كما يعرفه الجميع.

وأما اسم (إرتيريا) فإنه حديث، أطلقه الإيطاليون عليها عندما استعمروها، وأخذوه من التسمية اليونانية للبحر الأحمر، إذْ كان اسمه (سينوس إرتيريوس)، بمعنى البحر الأحمر، فسينوس: بحر باليونانية، وإرتيريوس: أحمر.

فاسمها (إرتيريا) معناه: الحمراء، ولكن ذلك ليس صفة لها، وإنما هو مأخوذ من صفة البحر الذين تقع عليه سواحلها، وهو الأحمر.

الموقع والمساحة وعدد السكان:

تقع إرتيريا في الشمال الشرقي من القارة الإفريقية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وهي على شكل مطرقة مثلثة، قاعدتها في السودان من الشمال والغرب، وإثيوبيا في الجنوب، وجيبوتي في الجنوب الغربي.

تبلغ مساحتها ١٢٥,٠٠٠ من الكيلو مترات المربعة، وتمتلك ١٢٦ جزيرة تقع في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

كانت إرتيريا عرضة للغزوات الخارجية، والتناحر الداخلي، وطمع الجيران المتواصل في الاستحواذ عليها، وهي بالنسبة لإثيوبيا كانت منفذها الوحيد إلى البحر، لذاك اتسم الصراع بينهما بقدر كبير من الضراوة.

السكان:

يقدر عدد السكان في إرتيريا بنحو ثلاثة ملايين ونصف.

اللغة:

يتحدث الإرتيريون ثلاث لغات، وهي: التقرينية، والعربية، والإنجليزية، وجميعها معتمدة في المعاملات الرسمية لدى الدولة.

وهذه اللغات الثلاث هي رسمية كلها، بمعنى أنها مقبولة في الدوائر الرسمية عندما يكتب بإحداها.

ولكن الواقع أن اللغتين اللتين تعتبران لغتين وطنيتين في إرتيريا هما: العربية والتقرينية.

أما العربية، فهي أوسع، لأن كثيراً من المسيحيين بعرفونها إلى جانب التقرينية، وأما الثانية، فإنها اللغة الأصيلة في مناطق المسيحيين.

وهناك لغات أخرى في جهات أخرى من البلاد، ولكنها لغات محلية، لا بد أن يعرف المتكلمون بها العربية أو التقرينية، والتقرينية هي سليلة لغة عربية قديمة هي الجعزية التي يقول بعض الباحثين: إنها منسوبة إلى قوم من العرب من أهل اليمن، يقال لهم (الجعزيون)، ولم أتحقق من لغتهم، إلا أن اسمها (الجعزية) متفق عليه، وكونها وفدت إلى الهضبة الحبشية من اليمن أمر متفق عليه أيضاً.

وقد تحدرت من (الجعزية) ثلاث لغات، أولاها التقرينية في إرتيريا، والثانية (التقراي) في منطقة التقراي التي تعرف ببلاد أكسوم في هضبة الحبشة، وهاتان فيهما من العربية الآن شيء كثير، والثالثة هي الأمهرية التي مقرها بلاد (شوع) التي فيها العاصمة الحبشية الآن (أديس أبابا)، وهي أبعد اللغات الثلاث عن العربية في الوقت الحاضر، وكل اللغات الثلاث معتبرة الآن من مجموع اللغات السامية.

وكنت حاولت أن أجمع الكلمات المشتركة ما بين التقرينية والعربية التي نتكلم بها الآن، غير أنني قابلت رجلاً باحثاً، بل دقيقاً في بحثه، وهو الأستاذ محمد سعيد ناود، وهو إرتيري عاش فترة طويلة في السودان، فذكر أنه ألف كتاباً عن العلاقات ما بين دول القرن الإفريقي والجزيرة العربية، وأنه ذكر في فصل منه نماذج للألفاظ المشتركة بين التقرينية والعربية.

وقد وجدت ما ذكره كثيراً ودقيقاً، لذا رأيت أن أنقله هنا

معزواً إليه.

قال:

التأثير اللغوي

من خلال قراءتنا للأدب العربي الكلاسيكي شعراً ونثراً، وبالذات كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والحيوان للجاحظ، وبحكم إلمام الكاتب ومعرفته بلغة التجري، لاحظنا الكثير من الكلمات الواردة بهذه الكتب، والتي تتطابق نطقاً ومعنىً بالكلمات الشبيهة لها بلغة التجري؛ مما جعل الكاتب يهتم بهذا الجانب، والأمر ليس غريباً أو مستغرباً إذا علمنا بأن التجري والتجرينية مشتقان من الجئزية، وهي لغة سبأ وحمير القديمة والوافدة من جنوب الجزيرة العربية. وبمتابعة هذا الموضوع نستطيع القول بأن المفردات العربية بالتجري والتجرينية تتجاوز السبعين بالمائة منهما، أيضاً بالنسبة للهجات الإرتيرية الأخرى، ففيها الكثير من المفردات العربية، ولكنها لا ترقى إلى التجري والتجرينية، ولنأخذ مثالاً التجري؛ حيث إن الشهور العربية تنطق كما هي دون تحريف، إذا استثنينا شهراً واحداً، وهو شهر شعبان الذي يطلقون عليه (مداجن)، كما أن أيام الأسبوع تنطق متطابقة بالعربي، ما عدا يوم الأحد الذي يطلقون عليه (سنبات عباي)، أي السبت الكبير، أما الصلوات الخمس فينطقونها كما هي، أي: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

وكمثال لما ذكرنا، فسنورد بعضاً من الكلمات العربية المتطابقة مع التجري علي سبيل المثال لا الحصر:

الكلمة بالعربية	المقابلة لها بالتجري
أثر	أثر
حاجب	حاجب
أنف	أنف
أذن	أذن
عين	عن
يد	أدي
أطباء	أطباي (ثدي)
ناب	نيب
أنياب	أنياب
ذنب	ذنب
كبد	كبد
أمعاء	أمعاي
حوار	حوار (ابن الناقة الصغير)
مقرب	مقرب (الحامل التي دنا ولادها من المواشي)
قمل	قمل

الكلمة بالعربية	المقابلة لها بالتجري
كور	كور (مقعد للجلوس فوق الجمل)
حويه	حويت
عقي	عقي (فضلات المولود الجديد للحيوان)
حليب	حليب
زبدة	زبدت
عقال	عقال (ما يستعمل لربط الإبل برجليها الأماميتين)
قيد	قيد
بعير	بعير
عكة	عكة (إناء من الجلد للسمن أصغر من القربة)
فرس	فرس
بغل	بغل
كلب	كلب
كلبة	كلبت
حول	حول (وهو العام)
عام	عامت
أرض	أرض

الكلمة بالعربية	المقابلة لها بالتجري
سماء	سماء
كوكب	كوكب
هلال	هلال
أثافي	أثافي (الحجارة الثلاثة التي توضع من فوقها على النار)
الصفر	الصفر النحاس الأصفر
صبر	صبر (عصارة شجر معروف)
بَرَد	برد (كرات صغيرة من الثلج تنزل في شكل مطر)
قارورة	قارورة (الإناء الزجاجي)
قوارير	قوارير
حفرة	حفرت
محجم	محجم
صداق	صداق (وهو المهر الذي يدفع للعروس)
نفس	نفس
مدر	مدر (الأرض)
إبريق	إبريق
ركوة	ركوت

الكلمة بالعربية	المقابلة لها بالتجري
رحيب	رحيب (واسع)
دريء	دريء
عجين	عجين
عدو	عدو
نفر	نفر
حبل	حبل
وحل	وحل
شعير	شعير
سيف	سيف
فأس	فأس
سروال	سروال
قميص	قميص
موت	موت
ماء	ماي
حجل	حجل (خلخال)
فنجان	فنجان
زنجبيل	زنجبيل
قرنفل	قرنفل

الكلمة بالعربية	المقابلة لها بالتجري
حرث	حرث (زرع)
شيب	شيب

هذه الكلمات التي أوردنا، وهي من المفردات المتطابقة نطقاً ومعنىً بين اللغة العربية والتجري، ذكرناها كمثال لا للحصر، وفي اعتقادنا أن الأمر يحتاج لإعداد دراسة مستوفية، ووضع معجم عربي تجري- من قبل المتخصصين في هذا المجال لتعميم الفائدة.

أهم المدن:

١- مدينة أسمرا، وهي العاصمة.

٢- مدينة مصوع، وهي الميناء الرئيسي للدولة، والعاصمة التجارية.

٣- مدينة كرن، وهي منتجع.

٤- مدينة عصب، وهي الميناء الذي يخدم إثيوبيا في تجارة الترانزيت، وتوجد بها المصفاة.

المناخ:

إرتيريا تعطي مثالاً فريداً من حيث اختلاف تضاريسها وموقعها، تتمثل في طبيعة مرتفعات وسط إفريقيا التي تكون عالماً

صغيراً، وصحارى شمال السودان وغابات إفريقيا الاستوائية، والقفار البركانية على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية البارزة كالشوك الموازي للبحر الأحمر شمال الحبشة.

أ-الهضبة الإرتيرية

يتكون قلب إرتيريا من هضبة تتخللها جبال من الصخر الصلب، وتشقها أودية خصبة، ومرتفعات بين ستة آلاف وثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر، ويبلغ طول ساحلها ١٠٨٠ كم، وتتمتع بربيع دائم، وهواء عليل، وشمس ساطعة، ورياح معتدلة، ولا يغطي الصقيع إلا القمم الجبلية العالية، كما أن الحرارة لا تختلف بين فصول السنة إلا اختلافاً طفيفاً بالنسبة للمرتفعات، فهي لذلك صالحة على مدار السنة لاستقرار المواطنين، ويصل أقصى ارتفاعها عند قمة جبل (سويرا) بالقرب من بلد صنعفي المرتفعة ٩٨٨٥ قدماً، وهو أعلى جبل في إرتيريا.

وتكسو بعض أجزاء الهضبة خضرة مستديمة، متمثلة بأشجار العرعر والزقوم والزيتون البري، كما تتخلل الهضبة بعض السهول المنخفضة، والمعروفة بخصب تربتها، وتستغل الأشجار البرية في صناعة الأخشاب، وتمد الهضبة السهل الساحلي الشرقي والسهل الغربي بمياه السهول في فصل الأمطار الموسمية.

ب - المنخفضات الشرقية والغربية:

تكمل المنطقتان إحداهما الأخرى اقتصادياً، وذلك بنباتاتها وحيواناتها ومواردها المعدنية، واختلاف المناخ والفصول، وهذا يتيح تسهيل الهجرات الصيفية والشتوية للماشية.

ج- المرتفعات الشمالية:

ومن الهضبة تتجه سلسلة جبلية ضيقة صوب الشمال عبر حدود السودان، مكونة بوجه عام مرتفعات إرتيريا الشمالية، أو المرتفعات الشمالية، والشمالية الوسطى، والغربية الوسطى، وتقع القاعدة الجنوبية لهذه المرتفعات عند التلال، أو بالأحرى الجبال المحيطة ببلدة كرن، بينما يمتد طرفها الشمالي إلى قمة المثلث الإرتيري، وهي أكثر ارتفاعاً واتساعاً في الجنوب، وكذلك تتشابه الأحوال المناخية والنباتية للمرتفعات الشمالية مع الأحوال السائدة في الهضبة الجنوبية الوسطى، كما أنها أكثر ارتفاعاً واتساعاً في الجنوب، غير أن مناخ الأودية المنخفضة حار وجاف.

د- منخفضات بركة:

وفي الغرب تهبط الهضبة والمرتفعات الشمالية حوالي ٦٠٠٠ قدم لتتحول إلى سهول صحراوية، تمتد إلى السودان مكونة منخفض وادي بركة، وتنتشر غابات الدوم المخضرة على جانبي

نهر بركة.

وبالقرب من منطقة بركة تتحول المنخفضات فجأة إلى أحراش وغابات، تتخللها حشائش المراعي، وتكثر فيها الحيوانات البرية المختلفة، ويعتبر جوها حاراً ورطباً.

هـ- السهل الساحلي:

مناخه معتدل وممطر في الشتاء والربيع، شديد الحرارة والرطوبة في الصيف، ونظراً لارتفاع درجة الحرارة يوصف مناخ الساحل بأنه مداري وصحراوي صرف، ويوصف مناخ مصوع بأنه حار ورطب بشكل لا يحتمل، فالحرارة مرتفعة تصل إلى ٤٤ درجة مئوية، ولعل ذلك يعود إلى انخفاض سهلها، وبعدها عن تأثير الرياح الموسمية.

ويضيق السهل في الشمال، بينما يتسع في الجنوب، مع انخفاضه في بعض الأماكن إلى ما دون سطح البحر، فتكثر البحيرات الملحة في منخفض كوبار؛ حيث يتم استخراج الملح، ويمتاز السهل الساحلي باستوائه وخاصة في الشمال، وبكثرة تعاريج رؤوسه البحرية وخلجانه في الوسط، ويقابل في منتصفه ١٢٦ جزيرة في عرض البحر، بعضها مأهول بالسكان، وأهمها جزيرة دهلك.

لمحة تاريخية عن دولة ارتيريا:

إرتيريا ليست مجرد دولة جديدة تنهض في مقدمة القرن الإفريقي المضطرب، ولكنها معضلة تثير من الأسئلة أكثر مما تطرح من الإجابات، وأتى الإعلان عن استقلالها في الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٩٣م ليطرح من جديد قضايا الهوية، والأمن، والتجانس بين الجماعات العرقية، والتعايش بين الأديان، كأنها تعيد طرح كل قضايا العالم الثالث الهاجعة، وتدفع ثمناً غالياً من الكفاح ضد القمع، وحرب الإبادة التي مارستها إثيوبيا ضد شعبها على مدى ثلاثين عاماً، من أجل أن تظفر أخيراً بعلم، ونشيد، ومقعد في الأمم المتحدة.

إذا تأملنا حدودها على الخارطة، فإنها تشبه المطرقة، مطرقة ظلت تضرب عبر ثلاثة عقود رأس إثيوبيا، فأسقطت أولاً إمبراطورية الأسد العجوز (هيلاسيلاسي) عام ١٩٧٤م، ثم النظام الأحمر للعقيد (منجستو هيلا مريم) عام ١٩٩١م، ثم لم يجد النظام الإثيوبي الحالي بداً من الاعتراف بحقها في الاستقلال، وحرية تقرير المصير.

في هذه البقعة تجمع العديد من الأجناس البشرية، جاءت إليها القبائل النيلية ذات الأصل الحامي، ثم جاء الزنوج من قلب إفريقيا، واكتسبت المنطقة طابعها الخاص عندما هاجرت إليها القبائل العربية في الفترة من سنة ١٠٠٠ إلى ٧٠٠ قبل الميلاد.

لقد تواصلت هذه الهجرات على مدى مئات السنين عبر باب المندب وجزيرة دهلك التي لا يفصلها عن الشواطئ اليمنية إلا أميال قليلة.

ولعل أقدم القبائل التي هاجرت إلى إرتيريا هي (الأجاعز)، التي فقدت ديارها وأراضيها بعد انهيار سد مأرب فيما يقال، وقد حملت هذه القبائل إلى إرتيريا أولى مقومات الحضارة: المحراث الذي قادها إلى احتراف هذه الزراعة، والأبجدية الحميرية التي فتحت أمامها أبواب اللغة والكتابة. وهكذا نشأت في الهضبة الإرتيرية مجتمعات زراعية مستقرة، مما مهد فيما بعد لظهور مملكة (أكسوم) التي ظهرت في إثيوبيا، وامتدت إلى أجزاء من إرتيريا، وانتقل الدين الإسلامي من أرض الجزيرة، ليجد في إرتيريا بيئة ثقافية ملائمة لتعاليمه، ولم ينتشر الإسلام عن طرق السيف، ولكن عن طريق التجار المسلمين، وانبعثت بسبب ذلك عديد من الإمارات والسلطنات الإسلامية على الساحل، وارتبط أرخبيل دهلك ومصوع بالخلافة الأموية، ثم الخلافة العباسية من بعدها.

أولاً: الوضع السياسي:

رغم كون طبيعة الأرض الإرتيرية تجعل من مناخها ربيعاً دائماً بطول الفصول الأربعة، نتيجة لتكوينها من هضبة فيها مرتفعات لا تقل عن ستة آلاف قدم فوق سطح البحر.

فعلى المستوى العربي كان طبيعياً أن تكون (السودان) بحكم الجوار أول يد تمتد لدعم الثورة الإرتيرية، لكن هذا العون ظل محكوماً بتقلبات الأحوال لموازنة الصراع حول قضية الجنوب في السودان ذاته، أما (مصر) فقد أيدت الثورة، ثم سحبت تأييدها لصالح فكرة إثيوبيا الموحدة، ثم عادت إلى قبول فكرة الحكم الذاتي لدى الإرتيريين، وبشكل عام كان العون العربي، رغم أنه ظل في أكثر الأحيان العون الوحيد في قضية لم تجد من يعينها غير ذاتها، كان العون العربي محكوماً بمنطق يتخبط في دائرة ردود الأفعال في مواجهة الفعل الإسرائيلي، ويخضع لاعتبارات ما يدور بين الدول العربية ذاتها، كما أن العون العربي نتيجة لغياب المنطق الواضح، والإعلام الجيد، ظل مثاراً للريبة، وموضعاً للخلاف داخل حركة التحرير الإرتيرية، حتى إن الفصيل الذي قاد المرحلة الأخيرة من الثورة الإرتيرية - الجبهة الشعبية لتحرير إرتيريا - رأى أن هذا العون العربي موجه لفصيل بعينه داخل الحركة، وبغية تأكيد التوجهات العربية والإسلامية لإرتيريا في المستقبل.

ربما كانت إسرائيل غير بعيدة عن هذا الخلط، وربما أن الصورة تغيرت بعد أن كان العربي (سمير صنبر) ممثل الأمم المتحدة هو مراقب انتخابات تقرير المصير التي أسفرت عن إعلان استقلال إرتيريا، لكن مما لا شك فيه أن غياب الوضوح العربي في رؤية المسألة الإفريقية يظل المسؤول عن كل هذه التخبطات.

خضعت إرتيريا لإدارة حكومة مؤقتة منذ الاستقلال في مايو

١٩٩١م بقيادة (الجبهة الشعبية لتحرير إرتيريا)، وفي إبريل ١٩٩٣م جرى استفتاء تحت إشراف دولي، وكانت النتيجة لصالح الاستقلال بأغلبية كبيرة، وفي ١٩ مايو ١٩٩٣م أصدرت الحكومة المؤقتة مرسوماً يتعلق بإعادة تنظيم الحكم، إلى أن يتم وضع دستور ديمقراطي يضمن الحقوق الأساسية للمواطنين، والتعددية الحزبية، وإقامة حكومة دستورية مؤقتة.

وفي فبراير عام ١٩٩٧م جرت انتخابات (برلمانات) الأقاليم، تمهيداً لانتخاب البرلمان العام.

إن من بقى على الأرض من أبناء الشعب الإرتيري بعد الاستقلال هم من المقاتلين، أو من الطبقة الفقيرة، وهؤلاء في معظمهم جهلة، ويحتاجون إلى سنوات عديدة لفهم السلوك الحضاري والقواعد الأخلاقية.

ولا ننسى الجانب النفسي، حيث عاش المقاتلون تحت الأشجار وفي الجبال، وذاقوا مرارة الخوف والجوع.

أما المثقفون منهم، فقد هجروا البلاد، وسيظلون كذلك طالما استمر الحكم في يد الجبهة الشعبية.

لا يوجد أسرة في إرتيريا إلا وفقد لها شخص أو أكثر، ولذلك توجد رؤية عامة مشتركة في الحفاظ على الاستقلال.

تسعى السلطة في إرتيريا الآن إلى تأسيس دولة علمانية، أي فصل الدين عن الدولة، وفي الجانب الآخر لا زال الفكر

الاشتراكي يعيش في بعض رؤوس المسؤولين.

كما أنه لا توجد مبادئ سياسية معينة لدى المواطنين، وهمهم هو الحصول على قدر من المعيشة التي تحفظ كرامتهم.

كما أن الدولة تسعى من خلال وسائل الإعلام للتعريف بأنها تحاول إيجاد نظام ديمقراطي، يسمح بإشراك المواطنين في العمل السياسي (حيث إن الدستور الذي سوف يعرض على البرلمان المنتخب) يضمن للجميع حرية الرأي والمعتقد والمساواة، كما أن الدستور يسمح أيضاً بقيام التعددية الحزبية.

وننقل هنا جزءاً من فصل كتبه الأستاذ محمد سعيد ناود في كتابه: (**العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي**) لأهميته، قال ص١٣٥: تواصل إرتيريا مع جزيرة العرب وأجزاء القرن الإفريقي:

إرتيريا وشعبها نتاج للتزاوجات التاريخية بين مختلف العناصر التي تشكل منها هذا الشعب، وهي: الكوشية، الحامية، السامية، الزنجية، وفي هذه السمة يلتقي، بل ويتطابق مع كل أجزاء القرن الإفريقي حسبما شرحنا في باب سابق من هذا الكتاب، وأن الهجرات والهجرات المعاكسة على مدى الأجيال تعتبر حالة لازمت أراضي إرتيريا من قبل الموجات البشرية المتدافعة، والآتية من مختلف الاتجاهات، وكان الاتجاه الغالب من الشمال؛ حيث موجات قبائل البجه كلما اشتد الضغط عليها، ممن حكموا مصر منذ عهد الفراعنة، ثم اليونان والرومان، وأخيراً

العرب، تليها الموجات الآتية من الشرق عبر البحر الأحمر، وأكثرها من جنوب الجزيرة العربية.

والأمر الذي يتفق عليه المؤرخون أن قبيلة ((أجعازيان)) هي أقدم من هاجر إلى الشواطئ الإرتيرية من القبائل اليمنية، وكان مواطنهم الأصلي على الساحل بين صنعاء وعدن، ولهم نقوش تذكرهم في اليمن وأكسوم.

وقد حطت هذه القبائل السبئية رحالها فوق هضبة إرتيريا وهضبة الحبشة، ومعها كنوز لا تثمن من التراث الأصيل، ومعالم حضارة عريقة، متمثلة في اللغة المكتوبة، والمهارات الزراعية المتقدمة، والأساليب المتطورة للتحكم بمياه الأمطار والسيول، عن طريق إنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال، وزراعتها بالمحاصيل والأشجار، كما حملوا معهم فنونهم المعمارية، وبراعتهم في النحت على الحجر، وبناء السدود الضخمة الثابتة لحجز المياه التي اشتهرت بها مدينة مأرب التاريخية.

وتعتبر (الجئز) أقدم لغة سامية في شمال شرق إفريقيا، وقد كانت لغة القبائل السبئية التي نزحت إلى هضبة إرتيريا وهضبة التجراي من جنوب الجزيرة العربية منذ عهود قديمة، وكان القوم الذين تحدثوا بالجئز يطلق عليهم ((أجعازيان)).

وقد تأثرت إرتيريا منذ القدم بحضارة الجنوب العربي مع تعاقب هجرات القبائل السبئية لها، ودونت تراثها الحربي، وآدابها

باللغات واللهجات الجديدة التي وفدت إليها مع هذه القبائل على البحر الأحمر، وقبل شيوع الحروف السبئية لم تكن للسكان لغة مكتوبة، وكانت الجئزية كما أسلفنا القول أقدم هذه اللغات انتشاراً، وأبعدها أثراً في المجتمع الجديد.

إلا أن اللهجات الحامية ((الكوشية)) المحلية ما لبثت أن تغلبت عليها، فاندثرت بمرور الأيام لتحل محلها لغتان جنوبيتان أخريان، اشتقتا منها، وهي التجري والتجرينية. وباندثار الجئزية كلغة للتفاهم والكتابة انحصر استعمالها في الأمور والطقوس الدينية، ومخطوطات الكنيسة، مثلما انحصر استعمال اللغة اللاتينية بنطاق الكنيسة في أوروبا اليوم، وكانت الجئزية بمثابة اللغة الأم بين لغات ولهجات الجنوب العربي التي شاع استعمالها في أزمان لاحقة في إرتيريا والحبشة.

وحقيقة أن اللغة السبئية اندثرت حرفاً ونطقاً في جنوب الجزيرة العربية، ولكنها ظلت باقية في إرتيريا والحبشة حتى اليوم، حيث إن الأمهرية، وهي لغة سامية كوشية وبجانب التجرينية، تكتب حتى اليوم بالحرف السبئي.

وقد وقف الكاتب على ذلك بنفسه عند زيارة قام بها لليمن، زار خلالها مدينة مأرب التاريخية في اليمن، وتجول بين أطلال سبأ وعاصمة بلقيس، كما شاهد المتبقي من آثار سد مأرب الذي يعتبر أحد عجائب الدنيا، وهناك شاهد الحروف السبئية المنقوشة في الصخور، وهي نفس الحروف الموجودة والمستعملة في كتابة اللغة

الأمهرية والتجرينية اليوم.

ومن هنا يتضح التأثير، بل والتواصل بين إرتيريا وجنوب الجزيرة العربية، ففي كتاب ((**خلجان البحر الإرتيري**)) ومؤلفه بحار يوناني، كان يسكن الإسكندرية، وقام برحلة طويلة حول البحر الأحمر، وكتب عن ثغر عدوليس التاريخي، وذلك عام ٦٠ ميلادية، كتب يقول: ليس لهذه البلاد – يعني سواحل البحر الأحمر الإرتيرية – ليس لها ملك واحد يخضع له الجميع ... إذ بكل سوق ومدينة على الساحل زعيم، وبعض زعماء هذه السواحل مستقلون، وبعضهم الآخر يدينون بالولاء لدولة (حمير) في اليمن.

وعليه فإن علاقة إرتيريا بالجزيرة العربية هي علاقة منذ القدم، ولا علاقة لذلك بهجرة الرشايدة، وكانوا آخر القبائل العربية التي هاجرت من جزيرة العرب، وفي وقت قريب جداً، وذلك عام ١٨٦٩م باتجاه إرتيريا والسودان.

التأثير الخارجي:

كما هو معروف في عالم اليوم من تدخل القوى العظمى من خارج المنطقة، وتأثيرها على المنطقة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، فإن ذلك كان موجوداً منذ الأزمان الغابرة، وقد عرفت هذه المنطقة نموذجاً لذلك، متمثلاً في الفرس والرومان، ومحاولة كل منهما بالاستئثار والفوز بأكبر نفوذ، وأوسع رقعة

جغرافية في هذه المنطقة، تأميناً لمصالحها.

وكما ذكرنا من قبل، وفي باب آخر، فإن الأكسوميين هم الذين أطاحوا بالحميريين بالتحالف مع الروم، وحموا اليمن، وبعد أن ضاق الحميريون ذرعاً بالحكم الحبشي القادم من أكسوم عبر الشواطئ الإرتيرية، أرادوا أن يستعيدوا حريتهم، فالتفوا حول كبيرهم ((**سيف بن ذي يزن الحميري**)) الذي رأى أن يستنجد بحلفاء حمير الأقدمين، وهم الفرس، وقد اتصل سيف بن ذي يزن بكسرى أنو شروان ملك الفرس عام ٥٧٥ ميلادية، ووافق كسرى على إرسال جيش للقضاء على النفوذ المسيحي الحبشي في جنوب الجزيرة العربية، ولتأمين جبهته الجنوبية ضد نفوذ الروم، والسيطرة على الملاحة بالبحر الأحمر، وبذلك يحارب تجارة الروم التي أصبحت متزايدة منذ استيلاء الأحباش على حمير باليمن.

ونجح كسرى في التغلب على الأحباش، وصار الملك في حمير لسيف بن ذي يزن، إلا أنه وقع فريسة حادث اغتيال، إذ اغتاله رجل من الأحباش، ومنذ ذلك الحين سقطت مملكة حمير في أيدي الفرس الذين أصبحوا يبعثون إليها الحكام، ومن خلالهم يسيطرون على كل الأوضاع، وكان آخر حاكم حمير ((**باذان**)) الذي اعتنق الدين الإسلامي سنة ٦٢٨م، وفي ذلك التاريخ عادت اليمن مرة ثانية إلى أيدي العرب، وانتهى عهد النفوذ الخارجي في جنوب الجزيرة العربية، وكان لوجود النفوذ الأجنبي في جنوب الجزيرة العربية تأثيره المباشر على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر.

ارتباط إرتيريا بالجوار:

عرفت إرتيريا وأجزاء منها لدى المؤرخين العرب كالمقريزي، وابن حوقل، والمسعودي، والعمري متداخلة مع غيرها بأسماء عدة، مثل (**ممالك الطراز الإسلامي**)، أو ضمن ممالك البجه؛ حيث كانت بها خمس من هذه الممالك البجاوية، وخضعت إرتيريا بحكم موقعها الجغرافي، وتعدد الهجرات البشرية التي استقرت في مختلف مناطقها لدول مختلفة في وقت واحد، وارتبطت بعض أجزائها بأجزاء أخرى من البلدان المجاورة، ورغم التأثير من قبل الجوار التي ارتبطت به إرتيريا، أو التأثير الأجنبي، مثل عهد الأتراك، إلا أن السلطة الفعلية كانت في أيدي الزعماء الوطنيين الذين اتخذوا لأنفسهم ألقاباً مختلفة، مثل (رأس)، أو (دجازماش) في منطقة الهضبة، ولقب (كنتيباي) في المرتفعات الشمالية، ولقب (دقلل) في المنخفضات الغربية، ولقب (نائب) في مصوع، ولقب (سلطان) في منطقة دنكاليا.

وعن التواصل والارتباط بالجوار، فإن منطقة جنوب إرتيريا، وهي منطقة الهضبة الإرتيرية كانت تخضع أحياناً لمملكة تجراي الأثيوبية.

وتمتلك إرتيريا مع أكسوم التاريخية تراثاً مشتركاً يتمثل في التكوين البشري، والديني، والثقافي، واللغوي، والحضاري، ولا تزال مدينة أكسوم نفسها قائمة في هضبة التجراي على مقربة من

الحدود الإرتيرية الحالية أيضاً ارتبطت منطقة بركة في غرب إرتيريا والساحل الشمالي منها بممالك البجة، ومملكة سنار في السودان.

أما الشاطئ الإرتيري على البحر الأحمر، فقد كان يخضع أحياناً لسلطان اليمن أو الحجاز.

التأثير الديني:

إن إرتيريا قد أثرت وتأثرت دينياً بالمحيط الذي كانت جزءاً منه، والمتمثل في الجزيرة العربية ومنطقة القرن الإفريقي بشكل عام، فقد كانت الوثنية سائدة في إرتيريا، فالآثار القديمة في (مطرة) (وقوحيتو) في محافظة أكلي قوزاي تشير إلى عبادة (الإله عشتر) أي إله الزهرة، وقد اشتقت كلمة عشتر بلغة التجري من هذه الكلمة، وتعني السماء. كما عبدوا إله (البحر)، وإله (مدر) أي إله البحر وإله الأرض، وإله (عرم) أي إله الحرب بزعمهم الفاسد، وكلها آلهة وثنية كانت تصنع لها التماثيل في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، وانتقلت إلى الهضبة الإرتيرية مع النازحين الساميين، وإن ارتباط إرتيريا بممالك البجه هو الدليل؛ حيث إن البجه كانوا وثنيين، وظلوا على وثنيتهم إلى أن اعتنقوا الإسلام بظهوره.

أيضاً كانت إرتيريا هي المدخل للمسيحية، وفي وقت

مبكر، أي في القرن الرابع الميلادي على يد العربي السوري رجل الدين فرومنتيوس الذي وصل إلى نجاشي أكسوم عبر ميناء عدوليس الإرتيري، وعليه ومن وقت مبكر انتشرت المسيحية في الهضبة الإرتيرية، وتعتبر عريقة حيث لم تصل لإرتيريا عبر المنصرين الأوربيين، كما جرى في أجزاء أخرى من إفريقيا. أما عن دخول الإسلام لإرتيريا، وفي وقت مبكر، سوف نتحدث عنه لاحقاً حيث كانت إرتيريا هي البوابة التي ولج منها المهاجرون الأوائل من أصحاب الرسول ﷺ هرباً من أذى قريش، وذلك بالتجائهم إلى الحبشة، وقد حدث ذلك قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة.

الشواطئ الإرتيرية ودورها المهم:

أن الشواطئ الإرتيرية على البحر الأحمر قامت بدور كبير في التواصل ونقل الموجات البشرية من الهجرات المتتالية، نقلت الأديان والحضارات والثقافات والمصالح والتجارة بين الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الأحمر، وسوف نتطرق بالحديث عن هذه المواقع من الشاطئ الإرتيري التي قامت بهذا الدور.

*عدوليس:

اشتهرت عدوليس كميناء أسسه الإغريق البطالمة، وأطلال هذا الميناء لا تزال قائمة بالقرب من قرية زولا على بعد ٦٠ كيلو متراً جنوب مصوع، ولعل القرية أخذت أسمها من الميناء التاريخي

الذي يطلق عليه الأهالي تسمية (عزولي). وقد عرفت عند العرب في عصر ما قبل الإسلام باسم (عدولي)، كما كانت تطلق لفظ (عدولية) على السفن التي تصنع بهذا الميناء.

ويبدو أن العرب استعملوا هذا المرسى الطبيعي (عدوليس) الواقع على خليج زولا بقصد الاتجار مع الشواطئ الإفريقية، ومرت به موجات المهاجرين إلى هضبة إرتيريا والتجراي لتؤسس مملكة أكسوم، كما لا يستبعد الباحثون أن يكون العرب قد سبقوا بطليموس في اختيار هذا الميناء واستعماله، والاستفادة من موقعه المناسب، وكما ذكرنا فإن ميناء عدوليس هو عدولية كما يطلق عليه العرب منذ أيام الجاهلية، وقد ذكر (الطبري) أن ((عدولية)) كانت متجراً لقريش، وكانت التجارة متمركزة بين مكة وبلاد الأحباش، والذي يؤكد صحة النظرية القائلة بأن العرب كانوا السابقين في اكتشاف هذا المرسى واستعماله والاستفادة منه في نقل التجارة والحضارات، وانتقال الهجرات البشرية ما كشف بواسطة الحفريات التي جرت في وقت قريب، حيث وجد في عدوليس معبداً لعشتير، وهو أحد آلهة الجنوب العربي أيام حمير.

*جزر دهلك

إن جزر دهلك وبحكم قربها من الشواطئ العربية قد قامت بدور مهم بمثابة تجمع وانطلاق للهجرات العربية القديمة المتجهة صوب اليابسة باتجاه الشاطئ الإرتيري، وعن طريقها كان يتم نقل

التجارة أو استقبالها، وعندما تعرض ميناء عدوليس للخراب، فإن قراصنة البحر ظلوا يمارسون نشاطهم التخريبي من خرائب عدوليس وأرخبيل دهلك، التي جعلوها مأوى لسفنهم.

وعلى أثر تكرار غارات القراصنة على ميناء جدة في عامي ٦٣٠- ٦٤٠م منطلقين من عدوليس التي تحولت إدارتها إلى مرحلة الذبول، نتيجة الصراع الروماني الفارسي الذي أقحم اليمن وأكسوم في حروب طويلة، اضطر العرب الأمويين إلى الاستيلاء على جزر دهلك، ومصوع، وعدوليس في عام ٨٤ هـ ٧٠٢م.

وقد عظم خطر هؤلاء القراصنة عندما انطلقوا من دهلك، وشنوا غارة بحرية على جدة في عام ٨٤هـ- ٧٠٢م، وهددوا بتدمير مكة المكرمة، فما كان من الخلفاء الأمويين إلا أن اتخذوا خطوة حاسمة لوضع حد لتلك القرصنة، بأن جردوا حملة بحرية لاتخاذ مركز بحري على الشاطئ الغربي المقابل للبحر الأحمر المقابل لليمن، فاحتلت الحملة البحرية العربية مجموع جزر دهلك المقابلة لمصوع، كما قاموا بهذا العمل لحماية الحجاج المتجهين نحو الأراضي المقدسة من القرصنة البحرية المنطلقة من البحر الإرتيري.

ومن بعد الأمويين تحمل العباسيون مسؤولية حماية الطرق التجارية في البحر الأحمر، فأقاموا الحصون والقلاع في جزر دهلك، وزودوها بالسفن الحربية، بالإضافة لصهاريج المياه لحفظ مياه الأمطار، والتي لا تزال آثارها باقية.

وكان احتلال العرب المسلمين لهذا المركز الممتاز بداية لاستيلائهم على بقية المراكز البحرية على الشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر، وعلى الانتشار التدريجي للإسلام في شرق إفريقيا.

وكما ذكرنا، فإن دهلك وتوابعها ارتبطت منذ التاريخ القديم بالحكم العربي، وقد أتى ذكرها للمرة الأولى كمنفى، وهذا ما كتب لها أن تكون غالباً فيما بعد، سواء في صدر الإسلام، أو في العهدين: الأموي والعباسي، وكان العرب يتخذون من دهلك منفى للمغضوب عليهم، لبعدها وشدة حرها كنوع من العقاب، وهؤلاء المغضوب عليهم كانوا من الشعراء والسياسيين والفلاسفة.

فبأمر من الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك نفى (عامل المدينة) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الشاعر الأحوص عقاباً له على تشبيبه بالنساء الشريفات، ثم نفاه بعد ذلك إلى دهلك.

كما نفى إليها يزيد بن عبد الملك في عام ٧٢١م أحد فقهاء الدين، واسمه (عراق بن مالك)، الأمر الذي جعل الناس يرددون أن سكان دهلك تمكنوا أن يحفظوا الشعر مع الأحوص، والشريعة مع عراق.

كما أن الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨م) كان قد نفى إلى دهلك أبناء عبد الجبار، والي خراسان بعد أن مثل بأبيهم وقتله.

وعن ابن سعيد الذي استشهد بابن خلدون ونقل عنه، فإن سلطان اليمن ((أبو الحبش بن زياد)) المتوفى سنة ٢٧١هـ، كان يملك من جملة ما يملك من عائدات كبيرة تلك التي كانت تدرها مغاصات اللؤلؤ، وجزيرة دهلك التي كانت تدفع له خراجاً، ولا بد أنه كان يعني بسلطان اليمن أمير زبيد، فإن أحد عبيد مرجان الذي أصبح وصياً على عبد الله بن الحسن آخر أمراء سلالة بني زياد التي كانت تتقلد الملك في زبيد باليمن، قد أعتق نفسه بعد موت هذا الملك سنة ٤٠٧هـ ١٠١٦م، واستولى على زبيد سنة ٤١٢هـ ١٠٢١م، وثبت الخلفاء العباسيون استيلاءه على العرش، واتخذ لنفسه لقب المؤيد، ولقب ناصر الدين. وبعد مماته سنة ٤٥٢هـ ١٠٦٠م نتيجة السم الذي دسته له إحدى النسوة، فإن أبناءه سعيد، وحبياش، وزاهر، ومنصور الذين طردهم ((علي بن صبيح)) من زبيد، لجؤوا إلى دهلك.

وأرخبيل جزر دهلك والتي يزيد عدد جزره عن المائة جزيرة، اتخذت منفى لبعدها، ولشدة حرها، كما ذكرنا سابقاً، فعندما كان يتقلد الملك في دهلك ((مالك بن شداد)) اشتكى منه الشاعر ((أبو الفتح نصر الله عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري)) في قصيدة يصف فيها دهلك بما ينفر عنها، ويبعث الخوف في قلب كل من يتم نفيه إليها، ويقول في قصيدته:

وأقبح بدهلك من بلدة ... فكل امرئ حلها هالك

كفـاك دليـلاً إذن أنـــها جحيـم وخازنـها مـــالك

ويقصد بمالك في آخر المقطع الملك ((مالك بن شداد)) حاكم دهلك.

ويقول ((جسمان جلسو)) في كتابه: ((**غرائب اثيوبيا**)) : إن مصوع والموانئ القليلة على البحر الأحمر، أصبحت إسلامية في وقت مبكر، فبعد تدمير عدوليس ازدهرت حضارة إسلامية في جزيرة دهلك بالقرب من مصوع في مستهل القرن الثامن.

ما قاله ((جسمان جلسو)) هو عين الحقيقة، فبعد أن تم تأمين الطرق البحرية وتطهيرها من القراصنة بواسطة الأمويين الذين أقاموا القلاع والحصون، وأمنوا طرق التجارة، فقد ازدهرت جزر دهلك، وتشجع العرب على استيطانها وتعميرها، وأصبحت هذه المنطقة بحكم موقعها على الساحل المقابل لجنوب الجزيرة العربية، أصبحت المجال الحيوي للجماعات التي خرجت من الجزيرة العربية للتجارة، وطلب الرزق، أو لاتخاذ مواطن جديدة هرباً من حالات الذعر التي سادت الجزيرة العربية والعالم الإسلامي: حروب الأمويين والعباسيين. وهؤلاء المهاجرون لتلك الجزر نقلوا إليها الحضارة والعلم، وأصبحت دهلك مركز إشعاع لتعليم فقه الدين واللغة، ووفد إليها الطلاب من مختلف أنحاء منطقة شمال شرق إفريقيا.

وقد نشأ في نفوس السلاطين، وأصحاب الجاه، بحكم

توافد الشعراء والعلماء العرب إلى دهلك، اهتمام بالعمارة للمساكن والقصور، كما بدأوا يزينون منابر المساجد، ومداخل القصور بالنقوش الكتابية بالخط الكوفي الجميل. ومن هذه النقوش الكتابية هناك ثلاثة منها تم نقلها إلى باريس، وتوجد الآن في متحف ((بار - له — دوق)) بباريس، وهي منقوشة في صخر أسود صلب للغاية بارتفاع ٢٨ سنتيمتراً، وعرض ٢١ سنتيمتراً، وارتفاع السطر نحو ٣ سنتيمترات، وسنورد نص أثنين من هذه النقوش، وهذا النص الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى؛ السلطان أحمد بن إسماعيل المجاهد المرابط لسلطان الإسلام بثغر دهلك المحروس، انتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة سادس عشر شوال سنة ست وأربعين وتسع مائة من الهجرة النبوية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

نص النقش الثاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾

هذا هو ضريح الفقير إلى الله تبارك وتعالى؛ نصر بن عبد الله الذي أعتقه أبو الربيع بن علي الكاتب، ليلة السبت — الأحد يوم التاسع من شهر محرم سنة خمسمائة وأربع، يرحمه الله.

والوجود والحضارة العربية بالمنطقة تؤكده الحماية البرتغالية التي نزلت لأول مرة بجزر دهلك في أوائل القرن السادس عشر؛ حيث كان السلطان أحمد بن إسماعيل سلطاناً على دهلك ومصوع وملحقاتها، وذلك في عام ١٥٢٠م، فقد أحضرت هذه الحملة معها عدداً من المترجمين الذين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة من المغرب العربي، ليتولوا الترجمة بينها وبني الأهالي. انتهى كلامه.

الوضع الاقتصادي الحاضر في إرتيريا:

الظروف التي مرت على البلاد في فترة الحرب التي تقدر بثلاثين عاماً أدت إلى الجمود الاقتصادي، وتدهور المعيشة وكانت النتيجة الانهيار الاقتصادي، ووصول البلاد إلى الإفلاس التام، وتفتقر البلاد إلى مقومات الدولة المستقلة اقتصادياً، ولذلك واجهت الحكومة الإرتيرية مشكلات كبيرة بعد التحرير، تتلخص فيما يلي:

إعادة البناء، عودة اللاجئين، تأهيل معوقي الحرب، إعالة أسر الشهداء، بناء هياكل الدولة اقتصادياً وسياسياً. ولكنه نظراً إلى أن دولة إرتيريا تمتلك إمكانات متعددة، فلديها أجواء متنوعة، وتشكيلات جيولوجية مختلفة، تمكنت بقدر المستطاع من التغلب على بعض المشكلات الاقتصادية.

تمتلك إرتيريا ثروة حيوانية كبيرة، كما أن لديها ثروة سمكية عظيمة.

كما يوجد فيها مناجم للذهب والنحاس والبوتاس والبترول، ومعادن أخرى لم تستغل بعد.

إن مجموع السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين ونصفاً يعمل ٧٨٪ منهم في الزراعة، وهذا يعني أن الزراعة هي الحرفة الأساسية للسكان.

وعندما كانت المواد الأولية اللازمة للتصنيع متوافرة أيام الاستعمار الإيطالي كانت هناك عوامل مشجعة لقيام عدة صناعات في إرتيريا، معتمدة على الخامات المحلية، ومن ذلك مصانع الإسمنت والطوب والزجاج والثقاب والورق، ومنتجات الألياف النباتية والأكياس وحلج القطن وغزله والخزف والأثاث، ومنتجات الألبان والصابون والعطور والزيوت ودبغ الجلود والأخشاب والمسامير والسجائر، واستخراج الملح والهواء المضغوط (الأكسجين) وأكسيد الكبريت، وحفظ اللحوم وتعليب الأسماك وتعبئة الخضروات وصناعة البلاستيك.

كل هذه الصناعات كانت موجودة، أو ممكنة الوجود في إرتيريا قبل الاحتلال الإثيوبي لها، الذي أدى إلى تدميرها، أما ما بقي منها فقد نقلته سلطات الاحتلال إلى أديس أبابا، وقد ابتدأ التوسع الصناعي في إرتيريا سنة ١٩٤٣، وبلغ عدد المنشآت الصناعية حتى سنة ١٩٥٢ (٢٤) مؤسسة أضيفت إليها شركات أخرى سنة ١٩٥٧، منها (٢٢) مؤسسة في العاصمة أسمرا فقط، وشركتان في مصوع، وأخرى في كرن.

وكانت إرتيريا تصدر الكثير من سلعها إلى الخارج، كالأسمنت والكبريت واللؤلؤ والمرجان والجلود والملح وغيرها، فكان الملح يصدر إلى الشرق الأقصى والكنغو، كما صدر الزيت إلى هولندا، والأسماك واللحوم المحفوظة وحبال الألياف النباتية والذرة والفواكه إلى الدول الأوروبية.

وتخدم تجارة إرتيريا شبكة جيدة من الطرق والمواصلات، ولا تعرف الأقاليم الإرتيرية في تاريخها صعوبة الاتصال بين أجزائها في السابق، وكذلك الاتصال بالعالم الخارجي، سواء كان بالنسبة للأشخاص، أو تصريف حركة التجارة، وكان الإيطاليون أثناء احتلالهم للبلاد قد اهتموا بإعداد شبكة من المواصلات البرية، فعبَّدوا الكثير من الطرق، وأنشأوا خطاً حديدياً، وخطاً آخر للقطار من ميناء مصوع إلى العاصمة أسمرا.

وتمتد الطرق المعبدة إلى ٣٠١٦ كم، والسكة الحديد يبلغ طولها ٣٦١ كم، مخترقة ٣٥ نفقاً في الهضبة الإرتيرية ومنحدراتها عبر الطريق الذي يربط بين مصوع، وكرن، وأغردات.

وتمتلك إرتيريا شاطئاً يبلغ طوله نحو ١٨٠٠ كيلو متر، وعليه ميناءان للتصدير، هما ميناء مصوع في الشمال، وعصب في الجنوب الذي يخدم دولة إثيوبيا.

وبدأت إرتيريا بعد الاستقلال في استقطاب الدول والشركات ورؤوس الأموال العربية والأجنبية للإسهام في إنشاء البنية الأساسية التي أفسدتها الحروب، ابتداءً من الكهرباء، وانتهاءً بالمشاريع الزراعية والصناعية والسياحية.

الوضع الإعلامي:

بعد الاستقلال اتجهت الحكومة إلى توعية الجماهير نحو

السياسة الحكومية التي تم رسمها أثناء الكفاح، وتهدف هذه السياسة إلى التركيز في تخليص المجتمع من الرواسب الاجتماعية التي خلفها الاستعمار، بما في ذلك تحسين مستواه المعيشي.. والاعتماد على الذات، وعدم الانتظار، والاعتماد على المساعدات الخارجية.

ولا يوجد هناك مؤسسات إعلامية خاصة، فالإعلام يخضع للحكومة، ولهذا فهو إعلام موجه، يخدم سياسة الحكومة فقط، تشرف عليه وزارة الإعلام، ولها عدة أقسام:

١-الإذاعة. ٢-التلفزة. ٣-الصحافة. ٤-الثقافة والفنون.

وتؤدي وزارة الإعلام عملها حسب الخطة المرسومة وتعليمات وقيود، والقيود تتمثل في عدم الخروج عن سياسة الحكومة، أو التطاول على المؤسسات الحكومية، والشخصيات، ومنجزات الثورة.

الدولة هي الممول الوحيد لهذه المؤسسات، ويركز الإعلام الإرتيري على التلفزيون والإذاعة والصحافة، وتصدر في إرتيريا صحيفة تسمى (إرتيريا الحديثة) باللغات: العربية، والإنجليزية، والتجرينية.

لكل قسم من أقسام الإعلام مشرف مسؤول عن كل ما يكتب وينشر ويذاع، وبمقياس الإمكانات المتوافرة لديهم في الوقت الحاضر يعتبر الإعلام لديهم جيداً.

وتركز الدولة في وسائل الإعلام على شحذ حس المواطن في اتجاه إيجاد حس وطني، واعتناق أفكار معينة، من شأنها توحيد المجتمع، وحتى الآن لم تتمكن وسائل الإعلام من القيام بدور كبير مؤثر لدى المواطن؛ حيث إن الوسيلة الأكثر انتشاراً هي المذياع، وكثير من الناس لا يملكون هذا الجهاز.

التلفاز يبث برامجه في مناطق محدودة، وعدد ساعات البث قليلة، وكذلك عدد الصحف والمطبوعات قليل بالنسبة لعدد السكان، وقلة الإمكانات في التوزيع التي لا تسمح بأن تصل إلى كل مواطن.

إن الاهتمام اليومي بالمعيشة جعل الناس لا ينظرون أو يفكرون بما يقوله الإعلام، فالهاجس اليومي لتوفير قدر من العيش لأفراد الأسرة جعل هذا الأمر يطغى على كل ما سواه.

الوضع الأمني الداخلي:

إرتيريا دولة حديثة الاستقلال، وقد عانت ثلاثين عاماً من الحروب، وتم التحرير والاستقلال، ولم يأت هذا من فراغ، بل كان نتيجة المقاومة التي قامت بها جبهات التحرير الإرتيرية، وخاصة الجبهة الشعبية لتحرير إرتيريا، وقد فقدت إرتيريا من أبنائها الكثير أثناء حرب التحرير، ثم جاء التحرير ثمرة لذلك الكفاح المسلح الذي طالما انتظره الإرتيريون بفارغ الصبر، وهو

قيام دولة إرتيريا الحديثة، وقامت الجبهة بمسؤولية الحكم، وآلت على نفسها بأن تزرع الأمن والأمان في ربوعها، وتعوض الشعب ما فات من أيام البؤس والشقاء، ولعدم وجود الأمن والأمان ذكرت أنها سوف تضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه العبث بأمن البلد مهما كان، وأن لا تكون هناك رأفة أو شفقة تجاه العابثين بأمن البلد واستقراره.

وقامت بتجنيد عدد لا بأس به من رجال الأمن أفراد الجبهة الشعبية، وسرحت الكثير من جنود ما كان يسمى بالدرك، وهم رجال الشرطة أيام الاستعمار الإثيوبي.

ويتلخص موضوع الأمن الإرتيري فيما يلي:

١- لا توجد أية أنشطة إرهابية داخل البلاد، ولم يحصل أي اعتداء على البعثات الدبلوماسية مثلاً.

٢- جرائم القتل قد تكون معدومة إلى حد ما، وإن وجدت فهي حالات نادرة، وقد تكون لأسباب شخصية، وليست لأهداف سياسية، ولم يذكر بأن وقعت أي حادثة تخل بالأمن.

٣- جرائم السرقة قد تكون أيضاً شبة معدومة إلا في بعض الأوقات؛ حيث حصلت حالتان أو ثلاث حالات سرقة نقود، وقد يكون الدافع من وراء ذلك هو الحاجة إلى الحصول على النقود في المقام الأول، نظراً لكثرة البطالة بين أفراد الشعب الإرتيري، وخاصة الأفراد المسرحين بعد أداء الخدمة

الإلزامية، وأما أعضاء السلك الدبلوماسي، فلم يحصل عليهم أي اعتداء أو سرقات أو مضايقات.

أما الخلل الأمني الذي قد يصيب البلد، فهو كبير، حيث لو حصل شيء من ذلك ستكون هناك فوضى وحالة ذعر وخوف، خاصة وأن البلد فقير وعدد سكانه محدود، ولا يجدون فرص العيش، لأن هناك أعداداً كبيرة يتم تسريحها سنوياً بعد أداء الخدمة الإلزامية، وهذه الأعداد تشكل خطورة متى ما حصل خلل بالأمن، لأنها قد تقوم بارتكاب جرائم السرقة والنصب والاحتيال، وجميع الوسائل الممكنة للحصول على المال اللازم للطعام.

وسوف يكون هناك تأثير كبير على السكان عموماً، وموظفي الممثليات خصوصاً وأسرهم من جراء ذلك الخلل الأمني الذي قد يحدث في حالة غياب السلطات الحالية، وانتشار الفوضى وقلة الأمن.

علاقة إرتيريا مع المملكة العربية السعودية:

تحتضن المملكة جالية إرتيرية قوامها ثمانون ألف مواطن إرتيري يعملون في كثير من الحرف، ومن ذلك نجد أن إرتيريا تحتفظ بعلاقات جيدة مع المملكة، وترغب في تطوير العلاقات بجذب رؤوس الأموال السعودية إليها، والرئيس أسياس أفورقي

يحرص في كل عام على زيارة المملكة زيارة خاصة للقاء رجال الأعمال والمستثمرين السعوديين، وحثهم على الاستثمار في إرتيريا، وقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين بتقديم معونات من صندوق التنمية السعودي لدولة إرتيريا على النحو التالي:

١- ٣٥ مليون دولار أمريكي لمشروع التوليد والنقل الكهربائي، وقد وقع الصندوق اتفاقية القرض، وهو تحت التنفيذ.

٢- ١٠ مليون دولار أمريكي لمشاريع الزراعة.

٣- ١٠مليون دولار أمريكي لمشاريع الطرق.

٤- ٥ مليون دولار أمريكي هبة من حكومة خادم الحرمين الشريفين لإنشاء وترميم مساجد في دولة إرتيريا، ويجري تنفيذه الآن.

ويشكل المسلمون في إرتيريا ٥٥٪ أو ٦٠٪ من عدد السكان على الأقل، وحيث إن دولة إرتيريا دولة مهمة تعتبر مجاورة للمملكة العربية السعودية، فلا بد من المحافظة على العلاقات بشكل جيد.

بل نرى أنه ينبغي تطوير العلاقات مع إرتيريا لما ذكر.

النزاع بين إرتيريا واليمن حول جزيـــرة حنيـــش الكبرى والصغرى

تقـع جزيرتـا حنيـش الكـبرى وحنيـش الصغـرى في الجـزء الجنوبي من البحر الأحمر، وكالعادة فإنه ينبغي الرجوع إلى الفترة الاستعمارية باعتبارها مرجعاً لمعظم الحدود القانونية في المنطقة.

ففـي نهايـة القـرن المـاضي وضـع الأوروبيـون أيديـهم وهـم: المملكة المتحدة- وإيطاليا على جزر البحر الأحمر، فأرخبيل دهلك صار منذ وصول الإيطاليين إلى مصوع جزءاً من إرتيريا الإيطالية، وفي باب المندب خضعت (جزيرة يريم) لسلطة البريطانيين، مثلها مثل (جزيرة كمران) في الشمال منها، ولكن الأوضاع ظلت غالباً مذبذبة، فالمطالب لم تكن دوماً مصحوبة باحتلال فعلي.

وهـذا الأمـر ينطبـق علـى مجموعـة جـزر حنيـش، ففـي تلـك الفترة تضاءل اهتمام القـوى الكـبرى بـهذه المجموعـة مـن الجـزر البركانية الصغيرة، والصخور الناتئة التي لا تشكل أكثر من ٢٠٠ كيلو متر مربع، وذلك بسبب خطورة الملاحة البحرية فيها، وبعد فتح قناة السويس سمحت تركيا لإحدى الشركات الفرنسية ببناء ثلاثة فنارات على هذه الجزر، وخلال عدة عقود كان موضوع صيانة هذه الفنارات هو الموضوع الوحيد تقريباً للمناقشات الدولية حول جزر حنيش، وعندما استقرت إيطاليا في إرتيريا منذ نهاية القرن قبل الماضي اعتبرت أن هذه الجزر تدخل في ملكيتها،

لكن تركيا احتفظت بسيادتها عليها.

وقد حدد مؤتمر (لوزان) الذي عقد في يوليو ١٩٢٣ مصير الأراضي العثمانية، ولكنه لم يبت في قضية جزر البحر الأحمر، بسبب الخلاف بين البريطانيين والإيطاليين، وتنص الاتفاقية فيه في فصلها السادس عشر على أن تتخلى تركيا عن حقها، وأن مصير الجزر يحدده لاحقاً المعنيون، وكان من المفترض إنشاء لجنة لهذا الأمر، ولكنها لم تجتمع قط.

أما وضع الجزر بلا جنسية، فإنه قد وقع الإفصاح عنه في كل الاتفاقات الدولية بشأن البحار، وجاء ذكر لجزر حنيش في اتفاقات ديسمبر ١٩٣٠، وإبريل ١٩٨٣، وسنة ١٩٦٢م، ولكن البلدان المطلة عليها استمرت بين وقت وأخر تؤكد حقها فيها، وخلال بضع سنوات، ومع بداية الحرب العالمية الثانية، صار الوجود الإيطالي في جزر حنيش أكثر نشاطاً، وكانت إيطاليا تدير الأرخبيل انطلاقاً من ميناء عصب، كما تشهد على ذلك الخرائط العسكرية، والوثائق الإيطالية لتلك الفترة، وبعد الحرب العالمية الثانية غادر الإيطاليون المنطقة، وأقفرت الجزر، وصار الصيادون، وهم يمنيون وإريتريون يترددون عليها، وكذلك بعض المهريين، ولكونها جزراً حارة وغير مأهولة بالسكان، فإن أحداً لم يهتم بها.

وبعد جلاء البريطانيين عن عدن سنة ١٩٦٧ تعقد الوضع في البحر الأحمر، بسبب وجود دولتين يمنيتين متنازعتين؛ حيث ورثت

عدن ثلاث جزر ضمتها إلى أراضيها هي (سقطرة، بريم، كمران)، وبذلك أجبرت خصمها في صنعاء على أن يولي الجزر المحاذية لسواحله أهمية.

وفي سنة ١٩٧٢ اندلعت الحرب الأولى بين اليمنيتين، واستولت صنعاء على جزيرة كمران الواقعة شمال حنيش، وباسم العرب احتفظت عدن بالدور المناط بها في حراسة باب المندب، ومراقبة الملاحة عبره إلى إسرائيل، وخلال حرب ١٩٧٣م طلبت مصر من عدن السماح لها بإنزال الحامية في حنيش بشكل مؤقت، وفي عام ١٩٧٧م أنزلت اليمن الجنوبية في هذه الجزر حامية عسكرية.

أما بالنسبة للصيادين العفر من الإرتيريين والصيادين اليمنيين، فإنه لم يكن لهم هناك وجود منذ مغادرة الإيطاليين فيما عدا فترات الحرب أو أية علامة تدل على وجود الدولة، وهذا ما مكن المقاتلين الإرتيريين خلال حرب التحرير الإرتيرية على مدى ثلاثين عاماً من استعمال هذه الأراضي كممبر تنقل منه سرا شحنات الأسلحة.

وكانت بداية المشكلة في صيف ١٩٩٥م حين أرسلت اليمن حامية عسكرية صغيرة إلى جزيرة حنيش الكبرى، وذلك لحماية أعمال مقاول إيطالي يرغب في إنشاء فندق سياحي في الجزيرة، وظل ذلك الوجود غير ملحوظ حتى ١١ نوفمبر ١٩٩٥م.

وبسبب شكوى صيادين عفر عادوا إلى عصب، أرسلت السلطات الإرتيرية قارباً لليمنيين بإخلاء حنيش الكبرى، وأمام رفض اليمن قام الإرتيريون بإنزال وحدة عسكرية في جزيرة مجاورة، مما أثار في صنعاء ضجة كبيرة، ووقع التنديد بتعنت الدولة الإرتيرية الناشئة.

وجرت اجتماعات على أعلى المستويات بين الطرفين ١٩٩٥م في أسمرا، ولم تسفر عن شيء، وكان كل طرف يؤكد أنه يرغب في حل النزاع بشكل سلمي، ويؤكد في نفس الوقت سيادته على الجزر، وقد توخت الحكومة الإريترية الحذر حتى لا تثير القضية، ولم تشر إليها الصحافة الرسمية، أما في صنعاء فإن قضية حنيش أصبحت بسرعة مثار جدل عام في نطاق الصراع على النفوذ في داخل السلطة، وأدانت الصحف الرسمية وصحف المعارضة فعل السلطة الإرتيرية (ضد العرب)، والخيانة التي ارتكبتها إزاء بلد شقيق، ومنذ شهر نوفمبر ١٩٩٥ وصار كلا البلدين يقويان وجودهما العسكري على الجزر.

الوساطة الفرنسية:

وعلى أثر بداية المناوشات في ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ اندلعت معارك ضارية تدخل فيها الطيران اليمني، وبحرية البلدين، واستمرت المعارك في الأرخبيل يومي ١٦و ١٧ ديسمبر ١٩٩٥م قبل أن يتوصل الرئيسان عبر الهاتف إلى وقف لإطلاق النار الذي بقى سارياً

اعتباراً من ١٨ ديسمبر ١٩٩٥، ويؤكد اليمنيون أن الإرتيريين قد باغتوهم بالهجوم، أما أسمرا فتؤكد أنها ردت على غارات جوية متعددة شنها الطيران اليمني.

ومهما كان الأمر، فإن هزيمة اليمن كانت هي الظاهرة، فخلال بضع ساعات استولى الإرتيريون على جزيرة حنيش الكبرى، وأسروا مائتين من أفراد الحامية، منهم ٤٧ ضابطاً.

وأحست صنعاء بقسوة المهانة، واستغلت اسمرا هذا النصر الميداني بذكاء لتلعب دور المحسن، فأطلقت بعد عشرة أيام المائتي أسير من (الأشقاء) دون أي شرط، وجعلت من مراسم تأبين ١٢ قتيلاً إرتيرياً مناسبة للخطابات الرسمية التي صيغت بعناية واعتدال، ورفع التلميح بالاعتداء اليمني باعتباره مؤامرة حاكها خصوم الرئيس على عبد الله صالح في الداخل، وكان الرئيس الإرتيري أسياس أفورقي يؤكد لمتحدثيه رغبته في حل سلمي لهذا النزاع المؤسف مع اليمن، لكن المعارك كانت أضرت بالوضع بين اليمن وإرتيريا إضراراً كبيراً، وقد اعترى شركات التأمين البحري قلق دفعها إلى رفع تعريفة التأمين، وتوقف الصيادون من كلا البلدين، وعرفت الجالية الإرتيرية في اليمن أياماً صعبة، أما الاتصالات المباشرة بين الحكومتين فإنها قد انقطعت.

وفي نهاية ديسمبر ١٩٩٥م لم يتوصل الرئيس الأثيوبي إلى رفع التهديد العسكري، فالإرتيريون يرفضون الانسحاب من حنيش طالما لم ينسحب اليمنيون من جزيرة زقر المجاورة.

وكان من الأفضل إجراء مناقشات مباشرة حول جوهر الموضوع، وهو السيادة على الجزر، وترسيم الحدود البحرية بين البلدين في البحر الأحمر، ولكن تبين أن البحث عن إطار للحوار بين البلدين لم يكن بالأمر الهين.

وحين أيدت الجامعة العربية حق اليمن، فإنها بذلك قد وضعت نفسها خارج نطاق من يمكن التوسط بهم، وهو أمر سرت به أسمرا خفية، والواقع أن الدول الأعضاء في الجامعة العربية بعد أن كانت قد أيدت حق اليمن، فإنها فيما بعد وقفت على حياد حذر.

أما منظمة الوحدة الإفريقية، فإنها تميل إلى الطرح الإرتيري، ولكنها ترفض أن تدخل في نزاع عربي - إفريقي، في حين أن إثيوبيا ومصر لهما علاقات جيدة مع البلدين، وعليه فقد عرضتا مساعيهما الحميدة التي كان لها صدى طيب دون أن تتمخض عن شيء، أما الولايات المتحدة فإن الرئيس اليمني قد طلب منها منذ شهر نوفمبر ١٩٩٥ اتخاذ مبادرة ربما تقبلها الإرتيريون بصدر رحب، لكنها نفضت يدها عن أي دور فعلي.

وأخيراً اقترح بطرس بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة في اليوم الأول من سنة ١٩٩٦م على الرئيسين اليمني والإرتيري الاحتكام إلى فرنسا، لما لها من دور داعم في استقرار المنطقة، ولوجود أسطولها في جيبوتي. وقبلت اليمن ذلك معتمدة على علاقاتها الجيدة مع باريس، ولم يكن أمام القادة الإرتيريين سوى

القبول لغياب ما هو أفضل، وعين الرئيس جاك شيراك مبعوثاً خاصاً له، وهو فرانسيس غوتمان الأمين العام السابق لوزارة الخارجية الفرنسية، والرئيس السابق للمعهد الفرنسي للبترول، فعمل خلال أربعة أشهر في سبيل تثبيت آلية تمكن من إيجاد الحل السلمي للنزاع، وكان هذا الوسيط متخوفاً بسبب عدم وجود تساو في العلاقات الثنائية للبلدين مع فرنسا، فعلاقة فرنسا باليمن قديمة، في حين أن ليس لفرنسا سفارة في أسمرا، وهي موضع ريبة في أنها لا ترى المنطقة ألاّ من خلال منظارها الخاص بجيبوتي.

وفي الوقت الذي كانت اقتراحات فرانسيس غوتمان تلاقي في صنعاء ترحيباً حاراً لكنه غامض، فإن المتحدثين معه في أسمرا كانوا على درجة من الوضوح والحذر، وكان تحديد المناطق التي ينبغي أن تخضع للتحكيم هي العقبة، هل يخص الأمر حنيش الكبرى ؟ كما ترغب اليمن، أم كامل (الأرخبيل بما فيه جزيرة زقر) كما يريد الإرتيريون.

وفي فبراير ١٩٩٦م وقع اقتراح أن يبت خمسة من المحكمين في نطاق جغرافي يقع على كل المنطقة البحرية الممتدة من أرخبيل دهلك حتى جزر خليج عصب، ويبدو أن الوسيط بذلك قد طرق الموضوع برمته، وعليه فقد اقترح أن تحظى القوات الفرنسية حتى إعلان نتيجة التحكيم في تاريخ غير محدد بتسهيلات للمراقبة العسكرية في كامل الجزء الجنوبي للبحر الأحمر.

ولم يتوصل هذا الدبلوماسي إلى صياغة نص من شأنه إزالة

الريبة المتبادلة بين البلدين، حتى إن الإرتيريين تعبيراً عن امتعاضهم احتجزوا لمدة شهر سائحين فرنسيين أخذوهما بحجة التقاط صور في البحر الأحمر.

وللتغلب على أزمة الوضع أرسلت الرئاسة الفرنسية بطريقة سرية مبعوثاً آخر إلى أسمرا، وهو فرانسوا دانيو، وهو أحد الساسة الفرنسيين الذين زاروا المقاتلين من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير إرتيريا، وغير لقاؤه مع الرئيس أسياس أفورقي أجواء الوضع كاملاً، ولذلك تم اقتراح نص أكثر غموضاً، أكمله فرانسيس غوتمان، فقد وقع التخلي عن تحديد المنطقة الخاضعة للتحكيم، وترك هذا الأمر للمحكمة التي ستنشأ خلال خمسة أشهر، وهي مكونة من ثلاثة محكمين، يتم اختيارهم بالتعاون مع فرنسا، وهذا سيمكن كل واحد من الحفاظ على وضعه حتى ذلك الوقت.

تم في ١٢ مايو ١٩٩٦ بباريس توقيع الاتفاق الذي بموجبه قبلت كل من اليمن وإرتيريا إخضاع نزاعهما حول أرخبيل حنيش للتحكيم الدولي، وهذا الاتفاق يزيل مؤقتاً مخاطر التصعيد العسكري الذي قد يفضي إلى تعطيل الملاحة في البحر الأحمر.

وعينت حكومة إرتيريا وحكومة اليمن حكاماً لحل النزاع بينهم، وذلك بناء على اتفاق التحكيم المشار إليه أعلاه، وهم:

عن إرتيريا ١- ستيفن شوبيل بريطاني

٢- روزالين هيجسنس أمريكية

عن اليمن ١- السيد أحمد القشيرى مصري

٢- كبت هيفت أمريكي

على أن يرأس هيئة التحكيم المستر روبرت جنيقس بريطاني كان رئيس محكمة العدل الدولية، وبعد التوقيع على الاتفاق واختيار أعضاء التحكيم قال الرئيس أسياس أفورقي في مقابلة صحفية: إن مشكلة جزر حنيش بين إرتيريا واليمن انتهت باتفاق الطرفين على اللجوء إلى التحكيم الدولي، ولكنه أضاف لماذا أضحت هذه الجزر مطلباً لليمن بعد استقلال إرتيريا فقط، ولم تكن كذلك خلال أيام حكم الإمبراطور هيلاسلاسي، أو الرئيس منجستو هيلا مريم، أو عندما كانت المنطقة تحت سيطرة القوى الإقليمية ؟.

إن البحر الأحمر هو طريق دولي رئيسي للملاحة البحرية، ولكن الدول المطلة عليه ترى فيه مصدراً للثروة لم يتم استغلالها بعد، فقد حصلت مؤخراً شركات بترول أمريكية، وفرنسية، وإيطالية على رخص للتنقيب في كل من إرتيريا واليمن، وبرزت الحاجة إلى تطوير الصيد في المياه المليئة بالأسماك، والمحمية منذ عدة عقود.

وأخيراً فإن كثيراً من الناس يؤمنون بالإمكانات السياحية لجزر البحر الأحمر التي تتصف بحرارة شمسها، وصفاء مائها، ويبدو أن سواحل سيناء في مصر تمثل نموذجاً لذلك، وأن

المشروعات المدرّة للعملة الصعبة تؤكد هنا وهناك أحلاماً كبيرة، مثل مشروع المركب الفندقي العملاق الذي يحتوي على مرسى ومساكن ونوادٍ راقية بتكلفة ٢٢٠ مليون دولار، يريد أحد رجال الأعمال الأمريكيين من تكساس إنشاءه على القاعدة البحرية (السوفيتية سابقا في جزر دهلك)، وذلك خدمة لزبائنه الأغنياء.

إن امتداد فترة المحادثات يعتبر مصدراً للمخاطر، فقبل الاتفاق نادى الشيخ عبد المجيد الزنداني، من حزب الإصلاح الأصولي المشارك في السلطة في صنعاء بتحريك مليوني يمني لتحرير حنيش، وأشعرت المعارضة الرئيس عبد الله صالح، وهو من الدعاة إلى تسوية سلمية، أنها لا تقبل فكرة التحكيم، لأنه لا يكون في صالح اليمن، وأخذ بعض القادة يثيرون قضية مرارة هزيمة الجيش، ويدفعون في اتجاه الصدام المسلح.

ولكن المنطقة في تعطش إلى الاستقرار لكي تتمكن من القيام بما لم يتم منذ نصف قرن، ألا وهو التنمية الاقتصادية، وما كادت اليمن تخرج من عزلتها الناتجة عن حرب الخليج حتى دخلت في حرب أهلية لتثبيت الوحدة اليمنية.

إن المخاوف من تطور كهذا قد دفع البلدان الأخرى إلى الرغبة في إيجاد تسوية سريعة لمشكلة حنيش.

وأخيراً حكمت المحكمة بأحقية اليمن بملكية جزر حنيش كلها، وأنها ليست لإرتيريا، ولهذا انتهى النزاع حولها كلية.

النزاع بين إثيوبيا وإريتريا:

الأوضاع بين الحكومتين الإثيوبية والإرتيرية مرشحة للتصعيد، ليس بسبب المناوشات العسكرية الأخيرة على الحدود بين البلدين، وادعاءات الحكومة الإثيوبية باحتلال القوات الإرتيرية وأرضاً من أراضيها في الشمال الغربي لإثيوبيا وحسب، بل لأن ثمة تراكمات قديمة بدأت منذ فترة عندما طالبت الحكومة الإرتيرية الإثيوبيين بدفع تعويضات مالية بعد اعتماد عملتها الجديدة (نقفة) بديلاً للعملة الإثيوبية (بر) التي كانت سائدة في إريتريا قبل الاتفاق على استقلال إرتيريا عام ١٩٩١م.

وظلت الحكومة الإرتيرية التي تنتهج نهجاً اقتصادياً اشتراكياً إلى حد كبير، تهيمن فيه مؤسسات الجبهة الشعبية على الأنشطة الاقتصادية في البلاد، تتهم الإثيوبيين سراً وعلناً بأنهم يعوقون المشاريع الاستثمارية التي تتجه إلى أسمرا، عن طريق استقطابها إلى أديس أبابا، وفقاً لمغريات عديدة، بما في ذلك مشاريع الاستثمار التي فكر فيها مستثمرون إريتريون عائدون من أمريكا أو أوروبا أو دول الخليج العربي، فأغرتهم الحكومة الإثيوبية، وشجعتهم على الاستثمار في أراضيها، بعد أن واجهوا مشكلات وصعوبات مع الأداء الإرتيري الروتيني والاشتراكي الطابع.

وعقب المطالب الإرتيرية الخاصة بدفع مقابل العملة الإثيوبية

المسحوبة من السوق الإرتيرية بالدولار الأميركي، وإحلال العملة الإرتيرية الجديدة مكانها، ورفض الحكومة الإثيوبية دفع فلس واحد، بل طلبت من الإرتيريين إما قبول (البر) كعملة مبرئة للذمة في إرتيريا، أو تسليم ما لديهم من عملات ورقية دون مقابل، أو قذفها في البحر، اتخذت الحكومة الإرتيرية سلسة من الإجراءات الاقتصادية، منعت بمقتضاها استيراد أي شي من السوق الإثيوبية التي كانت تمد الإرتيريين بالعديد من الضروريات اليومية من خضر وفاكهة ودواجن وبيض وذرة، ومنتجات إثيوبية أخرى كانت تنساب عبر الحدود المفتوحة بين البلدين والشعبين اللذين ظلا، وبرغم الاستقلال الإرتيري، يتعاملان بمرونة وتداخل تحكمه وتحتمه الروابط المشتركة، لأنهم استمروا لعدة قرون شعباً متداخل المصالح، وإن لم يكونا شعباً واحداً برغم صراع الحكام، ومطامع الأباطرة الإثيوبيين في إرتيريا والبحر الأحمر.

وقد قضى الاتفاق الذي بموجبه استقلت إرتيريا، وهو تنفيذ الاتفاق بين جبهتي إرتيريا والتجراي، بإعطاء الحكومة الإثيوبية تسهيلات بحرية كبيرة في ميناء عصب الإرتيري الواقع على البحر الأحمر (بالقرب من ميناء جيبوتي) التي تفصل بينها وبين إرتيريا منطقة الصحراء التي يسكن أجزاء منها العفريون الإرتيريون، والجيبوتيون، والإثيوبيون التابعون للسلطان على مراح.

وفي غمرة التوتر السائد، بدأت الحكومة الإرتيرية تتراجع عن اتفاق التسهيلات في ميناء عصب، بما في ذلك الأمر الخاص

باستخدام المصفاة، وهو أمر أدى إلى تحول إثيوبي واضح باتجاه الميناء البديل في جيبوتي التي تربطها بإثيوبيا خطوط سكة حديد نشطة من عشرات السنين.

وبعد أن تطور الخلاف بين البلدين، وخرج من السر إلى العلن، اتضح أنه سيتحول إلى حريق كبير يضاف إلى جملة حرائق القرن الإفريقي من داخل إثيوبيا، وصولاً للنزاع السوداني الإرتيري، والنزاع اليمني الإرتيري أيضاً.

ويلاحظ أن إرتيريا تعتبر القاسم المشترك في معظم هذه الصراعات، فهي وبصراعها الحديث والمستعر مع إثيوبيا، تكون قد أكملت الضلع الرابع بعد أن تنازعت مع جيبوتي حول جزء من الصحراء، ومع السودان بعد اتهامه بدعم الجماعات الأصولية الإرتيرية بالجهاد الإسلامي، والحركات الإرتيرية الأخرى المعارضة التي رفضت الجبهة الشعبية الحاكمة في إرتيريا الاعتراف بها، ومنحها حرية العمل السياسي والديمقراطي في البلاد، كما تنازعت مع اليمن حول جزيرة حنيش الكبرى، ثم ها هي الآن مع إثيوبيا حول قضايا حدودية، كان يمكن حسمها من جانب الطرفين بالمفاوضات الودية إبان فترة العلاقات الحميمة في البداية، أو إرجاء الأمر إلى حين عودة التحسن في العلاقات، وانقشاع سحابة الخلاف حول العملة الإرتيرية الجديدة، وأمور كثيرة أخرى.

ويقول الإثيوبيون إننا أعطينا الإرتيريين وطناً كاملاً يستحقونه تاريخياً ونضالياً، وحرمنا بلادنا من الإطلالة البحرية

بعد أن كانت تملك أوسع سواحل على البحر الأحمر (من حدود السودان وحتى حدود جيبوتي)، فكيف نختلف معهم على بضعة كيلو مترات من أرض جبلية قاحلة في مناطق (برغا) و(الحميرا) ومازالت الموافقة على استقلال إرتيريا وفصلها عن إثيوبيا عقب انهيار حكم منغستو هيلي مريم لدى الأطراف القومية الإثيوبية المتعصبة، وخاصة قومية الأمهرا التي تعتبر انفصال إرتيريا جريمة كبيرة، وكارثة قومية لا تغتفر لنظام الرئيس ملس زيناوي الذي أو في بوعد قديم قطعته حركته جبهة تحرير التجيراي للجبهة الشعبية لتحرير إرتيريا حليفتها في العمل المسلح ضد نظام منغستو منذ عام ١٩٧٥م.

ورغم التعقيدات التي ترتبت على موضوع معارضة أهم وأكبر القوميات الأثيوبية لاستقلال إرتيريا، وهما (الأمهرا والارومو)، وقطاع من التجراي أنفسهم، كافح الرئيس زيناوي وواجه في بداية عهده صعوبات وتحديات وحروباً كان الدافع الأساس خلالها هو رفض منح الإرتيريين الاستقلال وفصلهم عن الوطن الأم كما يزعم هؤلاء، وبالتالي تحويل إثيوبيا الدولة الكبيرة إلى كيان ضعيف وراء البحر الأحمر تحت الرحمة الإرتيرية، أو الجيبوتية التي يمكن أن تسمح للإثيوبيين بالإطلالة على البحر أو ترفض.

وخلال العامين الأخيرين، وبسبب التوجهات الاقتصادية والسياسية والديمقراطية، والانفتاح والنشاط الاستثماري، وأهم

شيء هنا هو رضاء وتشجيع الغرب عامة، وأمريكا خاصة، استطاعت الحكومة الإثيوبية أن تسكت إلى حد بعيد أصوات مدافع ودبابات المعارضين في مناطق الأوجادين والارموا والأمهرا، وهو أمر إذا تواصل لعشر سنوات أخرى قد يخرج إثيوبيا من محنتها التاريخية التي تسببت فيها الحروب والنزاعات، ويضعها على مشارف نهضة اقتصادية تدخل بها القرن الحادي والعشرين بأمل كبير من حيث التقدم والنمو الاقتصادي.

لأن هذا النزاع لإرتيري الإثيوبي تطور إلى صراع كبير وصل بالدولتين إلى مرحلة التعبئة والاستنفار، واحتلال الأراضي، وبالتالي العودة إلى زمان الحروب الطاحنة.

ومن أسباب ذلك أن الحكومة الإرتيرية في عدة مواجهات سابقة مع اليمن والسودان، ثم مع إثيوبيا الآن، لا تحفل كثيراً بالعمل الدبلوماسي لحل النزاعات قبل استفحالها، بل تعمد إلى سياسة الأمر الواقع، وتنتزع ما تريد بالقوة، ثم تعلن عن ترحيبها بالحوار أو التفاوض، ففي حالة السودان طورت الحكومة الإرتيرية صراع الحدود المسلح بدعمها المعلن للمعارضة السودانية الشمالية منها والجنوبية، بل وقامت بإجراء غير مسبوق في العلاقات الدولية عندما انتزعت مبنى السفارة السودانية في أسمرا وسلمتها للمعارضة، وأعلنت صراحة على لسان رئيسها في عدة مناسبات أن الهدف هو إسقاط حكومة الخرطوم بكل الوسائل، وهو قول حاولت الحكومة الإرتيرية أن تحوله إلى فعل.

والخطر والخطأ الذي ربما لا يكون خافياً على الحكومة الإرتيرية، هو أن تصعيد خلافها مع حكومة أديس أبابا ربما يدفع الرئيس الإثيوبي ملس زيناوي إلى مد يديه للأيادي الأمهرية وغيرها من أيادي الأطراف التي ظلت حتى اليوم تعارضه وتعارض استقلال إرتيريا، وترفضه رفضاً مبدئياً، وهو أمر إن حدث سيعيد الحروب الطويلة والشاقة إلى سابق عهدها فوق الأراضي الإثيوبية والإرتيرية.

وقد حدثت الحرب الضروس بين البلدين التي أزهقت آلافاً، وربما عشرات الآلاف من الأرواح، واستنزفت الموارد الاقتصادية الضئيلة في البلدين، حتى اشتهرت بأنها (حرب الفقراء)، إلى أن اتفق الطرفان على قبول الوساطة بوقف إطلاق النار، وإرسال قوات طوارئ دولية للفصل بين قوات الجيشين.

موقف إرتيريا من القضايا المهمة التي تهم المملكة العربية السعودية ومنطقة الشرق الأوسط

يقول السفير السعودي في إرتيريا الأستاذ عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي: إن دولة إرتيريا مع القضايا التي تهم المملكة العربية السعودية، وتقف إلى جانبها، ولم يسبق أن وقفت ضد أي قضية تهم المملكة في الموقف المعاكس، ودائماً الرئيس الإرتيري في مجالسه يبرز دور خادم الحرمين الشريفين كشخصية قيادية في المنطقة، ويرى أن تحذو الدول العربية حذو المملكة في نظرتها إلى

القضايا الدولية والإقليمية.

أما بالنسبة لقضية الشرق الأوسط، فموقف إرتيريا واضح ومعلن تجاه القضية الفلسطينية، وهو يتلخص في ((أن دولة إرتيريا كانت ومازالت مع حق تكوين الدولة الفلسطينية المستقلة)) ويهمها في المقام الأول سلام واستقرار منطقة البحر الأحمر، والجزيرة العربية، والخليج، والحرص على أن تكون علاقاتهم طبيعية مع جميع الأطراف.

يوميات الرحلة

يوم الأربعاء ١٤٢٠/١١/٢٤هـ ١ مارس ٢٠٠٠م

من جدة إلى أسمرا:

قمنا مع طائرة الخطوط السعودية الجيدة من طراز ٧٧٧ بوينغ، وهي جديدة واسعة في الدرجة الأولى التي ركبنا فيها، وكان بجانبي سفيرنا الحصيف النشط عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي، وكنت اجتمعت به عندما كان في سفارة بلادنا في سنغافورة، وكان أعلى مسؤول فيها، ولم يكن السفير حاضراً آنذاك، وكنا مسافرين في وفد رسمي إلى سلطنة بروناي التي لم تكن استقلت بعد، إذْ كان ذلك في عام ١٤٠٣هـ.

وقد عمل عملاً جيداً جزاه الله خيراً في تهيئة أمور الوفد.

وبعد ذلك في شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٣هـ كنت ذاهباً على رأس وفد رسمي إلى الفليبين بدعوة من رئيسها آنذاك فرديناند ماركوس، وكان زار المملكة العربية السعودية، وطلبت منه حكومتنا أن يحسن من أوضاع الإخوة المسلمين في الفليبين، حتى يمكن تحسين علاقات المملكة مع الفليبين، فبادر بطلب الوفد الذي تألف برئاستي، وعضوية السيد على مختار الأمين العام المساعد لشؤون المساجد في رابطة العالم الإسلامي، والأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام مدير الإدارة الاقتصادية في وزارة الخارجية السعودية، وكانت وظيفتي آنذاك (الأمين العام للدعوة

الإسلامية)، وهي وظيفة حكومية في المرتبة الخامسة عشرة (رتبة وكيل وزارة).

وكنت بعد الفلبيين ذاهباً إلى استراليا في جولة تشملها وتشمل جزائر جنوب المحيط الهادئ، وكان من المقرر أن يرافقني الشيخ محمد بن إبراهيم القعود المدير العام للدعوة في رئاسة الإفتاء في بلادنا، فحصلت في جوازه مشكلة لم يحلها إلا القائم بالأعمال السعودي في سنغافورة الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي، ولم يكن رقي إلى رتبة سفير آنذاك، فقام قياماً كاملاً في هذا الأمر، مما حملني على الثناء عليه في مذكراتي التي لم تطبع بعد، وهي ضمن كتيب ((**جزيرة بالي**)) في إندونيسيا.

ولذلك قال لي اليوم: إنني أذكر أننا التقينا قبل هذه المرة منذ سنوات طويلة في سنغافورة، ولم نلتق بعدها إلا في الرسائل بين السفارة والرابطة، فقلت له: إن هذا صحيح، وإنه في ١٤٠٣/٤/١٧هـ أي منذ ١٧ سنة.

أخذ الأخ السفير يحدثني في الطائرة عن أمور غامضة في سياسة إرتيريا، وتفكير رئيسها (أسياس أفورقي)، ولم نكن نعرفها من قبل، وهو السفير الخبير المتابع لهذه الأمور، لا سيما أنه كان سفيراً لبلادنا في أديس أبابا قبل ذلك.

ومن أهم ذلك أسباب الحرب التي وقعت بين إثيوبيا وإرتيريا، واسماها بعض المعلقين الصحفيين بأنها (حرب الفقراء)، وكأنما

الحرب تغتفر أو تهون إذا ما كانت بين أغنياء، وأن سببها العنجهية، وعدم التفكير بعواقب الحرب، وعدم المبالاة بها، وقد تقدم الحديث عنها في المقدمة.

في مطار أسمرا:

استغرق الطيران إلى مدينة أسمرا ساعة وخمس دقائق، إذ كنا غادرنا مطار جدة في السابعة والثلث، ووصلنا في الثامنة وخمس وعشرين دقيقة، فهي أقرب من الرياض إلى جدة بنحو عشر دقائق من الطيران.

وقبيل الوصول للمطار ألقيت نظرة، بل نظرات على الأرض الإرتيرية التي هي جبلية واضحة، وليس هذا بالجديد عليّ، ولكن الجديد أنها بدت لي جدباء قاحلة، مع أنني عندما زرتها المرة الأولى رأيتها خضرة نضرة، والسبب في ذلك أن زيارتنا الأولى كانت في الخريف الذي هو آخر الصيف، هكذا يسمون هذا الفصل الذي يعقب فصل أمطار الصيف بالخريف، مع أنه يبدأ من شهر يوليو ويستمر حتى شهر أكتوبر.

وعندما هبطت الطائرة في المطار، اتضح أن الأرض الإرتيرية مكسوة بالحشائش الخاصة التي تنفع غذاء للحيوان، ولكنها لا تكون واضحة من الطائرة.

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة مجموعة من

المستقبلين، منهم مفتي الدولة الإرتيرية الشيخ (الأمين عثمان الأمين)، ونائبه إبراهيم إسماعيل، وسكرتير دار الإفتاء الشيخ إبراهيم آدم، ومجموعة أخرى، منهم رئيس الطيران المدني في إرتيريا، وهو يتحدث العربية بطلاقة، وكذلك (رمضان) الذي كان الرجل الثاني في جبهة التحرير الإرتيرية الحاكمة، ولكنه متقاعد الآن، كما كانت توجد مجموعة من موظفي السفارة، جاءت لاستقبال السفير الذي كان في إجازة قصيرة في جدة، وعندما علم بسفري سافر بالطائرة نفسها، وترك رحلة كان حجز عليها قبل أيام.

انتقل الجميع إلى غرفة كبار الزوار في المطار، وهي صغيرة، ولكنها نظيفة جديدة، ذكر أنها مع أبنية في المطار هي جديدة، وإلا فإن المطار هو القديم الذي هو طويل المدارج، تنزل فيه الطائرات الكبيرة منذ العهد الشيوعي في البلاد.

وأسرعت مضيفة أرضية، أو هي موظفة في المطار تسأل عما يفضله الشاربو ن منا من شراب، حتى إن بعضهم طلب عصير الجزر، وذلك بالمجان.

وكان الحديث في القاعة كله بالعربية، رغم وجود مدنيين من الموظفين الإرتيريين وغيرهم، فكلهم يعرف العربية، ويتحدث بها كما يتحدث العرب، وقد سألتهم بهذه المناسبة عما إذا كان الشارع الإرتيري لا يزال كما عهدت أهله في الزيارة الأولى يتكلم العربية، أو يعرف قدراً منها ؟ فأجابوا أن نعم، بل قالوا: إنه الآن في

توسع، فالعربية ازدهرت الآن أكثر، والحكومة تعتبر العربية إحدى لغات ثلاث مقبولة في المخاطبات الرسمية مع الدوائر الحكومية، وهي: اللغة الوطنية لغة التقرين أو التقرينية، وهي لغة سامية شقيقة للعربية، واللغة الإنكليزية، والعربية.

ولذلك عندما قدموا لنا في الطائرة بطاقات الدخول كان أحد جانبيها مكتوباً بالعربية وحدها، فملأتها كتابة بالعربية، لأنني لا أبغي بها بدلاً، أما الجانب الآخر، فإن فيه اللغة التقريبية تحتها الإنكليزية، وحروفهم تذكر المرء بحروف المسند الذي هو خط الكتابة بالحميرية القديمة.

ظللنا وقتاً قصيراً كان الموظفون يعملون في الجوازات وتخليص الأمتعة، وكان معي صندوقان من الورق المقوى (الكرتون)، أحدهما ملأته بالتمر هدية للمفتي، والثاني بكتب من تأليفي لمكتبة دار الفتوى.

وطلب المفتي أن أركب سيارته، فودعت الأخ السفير الطعيمي ومن معه من أعضاء السفارة، وهم أربعة، وسرنا مع المفتي الذي سألني عن أول زيارة لي إلى إرتيريا ؟ فقلت له: إنها قبل أن يولد نصف سكان إرتيريا الآن على وجه التقريب، إذ مضت عليها ٣٦ سنة.

كان الأخ السفير قد ذكر أنه يستحسن أن أسكن في فندق (أمبسادور) في المدينة، غير أن المفتي ذكر أنهم كانوا

حجزوا لي في فندق (أسمرا بالس)، واسمه العربي (فندق غالية) في طريق المطار قبل الوصول إلى المدينة.

ونظراً إلى ما نعرفه من كون المفتي يتصرف في استقبال الضيوف الأجانب وفق ما تقوله الحكومة، فقد ظننا أن الأمر كذلك.

كان الجو في أسمرا عندما وصلنا لطيفاً منعشاً، وهو الجو الذي يظل كذلك طول العام، من أجل موقعها الجغرافي المرتفع، إلا أنه عندما تنزل الأمطار، ويتوالى نزولها يبرد الهواء، ويصبح الجو بارداً، لا يكفي المرء فيه قميص، بل لا بد من صدري أو نحوه.

وجدنا الفندق حديثاً من ذوات النجوم الخمس، كل ما فيه جميل وحديث، وتبين أن الإيطاليين هم الذين يشرفون عليه، وإن كان مديره عربياً، ويوجد موظفون إرتيريون كثر يعملون فيه، وبخاصة من النساء الشابات اللائي غابت صور أمثالهن، أو إن شئت الدقة، قلت صور أمهاتهن لأنني أعتقد أنه لا يوجد بينهن من يصل عمرها إلى السادسة والثلاثين، لأنهم اختاروهن من الشابات المتعلمات، وقد ألبسوهن لباساً معتادا في مثل هذه الفنادق.

وقد فوجئت أن وجدتهن مع كثير من الناس في المطار من السود، مع أنني شعرت في الرحلة الأولى أن أكثرهم من ذوي السواد المخفف، ولكن تبين لي الآن أن جمهرة الذين رأيتهم حتى

الآن من ذوي الألوان الرمادية.

وبتكرار النظر إلى العاملين في الفندق صح القول عندي أنهم بأشكال الصوماليين أشبه، وبألوان السودانيين أشبه، ولكنهم جنس متميز عن الاثنين، يصح بأن يسمى الجنس الحبشي، مع أن ارتباطهم السياسي ببلاد الحبشة التي تسمى الآن (إثيوبيا) قد انتهى.

والجنس الحبشي الذي أشرت إليه، يمكن القول بأنه من العرب الذين اسودوا، فتقاسيم الوجوه هي تقاسيم وجوه العرب إلا فيما ندر من ملامح وخصائص، وحتى التصرفات هي تصرفات تتسم بالذوق والدقة التي لا يلاحظها المرء لدى بعض الأفارقة تحت خط الاستواء.

نكتة لرئيس إرتيريا:

عرفنا عن الرئيس (أسياس أفورقي) رئيس دولة إرتيريا حبه للنكتة، والغوص على المعاني الغامضة، وجرأته على قول ما لا يرضي الآخرين من رؤساء الدول، إذا كان يعتقد أن ذلك لا يمس بلاده.

وقد ذكر لنا أنه يتكلم العربية كأهلها، بل إنه - وهو مسيحي - يتابع بعض البرامج الدينية الإسلامية، ومن ذلك برنامج ((الشريعة والحياة)) الذي يذاع من محطة الجزيرة التلفازية

العربية، ذكر لي السفير عبد الرحمن الطيعيمي أن الرئيس ذكر له ذلك.

وسوف يأتي الحديث عنه بعد أن أقابله بإذن الله، ولكن الحديث عن الإرتيريين هو الذي أدى إلى أن أتذكر نكتة رويت عنه، فقد كان في مجلس لعدد من السفراء العرب، وكان يتحدث إليهم بالعربية مثلما يتحدثون، وتطرق الحديث إلى موضوع قال فيه السفير المصري: نحن العرب المصريين، فقال الرئيس (أفورقي): أنتم أيها المصريون لستم عرباً، العرب الذين في صعيد مصر صحيح أصولهم من قبائل عربية، لكن أهل شمال مصر بعضهم من ألبانيا استقدمهم محمد علي باشا، وبعضهم من الشام والمغرب، ثم ألتفت إلى السفير السوداني حتى يجعل الأمر نكتة لا تجرح السفير المصري فقال: وأنتم يا السودانيين ما أنتم بالعرب، لأن العرب ليسوا سوداً، أنتم بلادكم بلاد زنوج.

قال السفير السعودي الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي: وماذا بشأننا نحن السعوديين؟ فقال: أنتم سكان مكة والمدينة ما هم بعرب، هؤلاء بقايا من الحجاج الذين جاؤوا من الهند وجاوة وغيرها من الأقطار، إنما العربي الصحيح هو أنا، لأننا جنس سامي هاجر من جزيرة العرب قبل الميلاد، وبقي محافظاً على عنصره العربي السامي، محتفظاً باللغة التقرينية التي هي سامية تشترك مع العربية في كثير من الألفاظ والمعاني، فنحن العرب الساميون الخلص الذين هاجروا من الجزيرة العربية قبل أن يختلط أهلها

بالأجناس الأخرى، بسبب ظهور الإسلام ومحاربته للعنصرية.

وقد جاء بهذا الكلام على طريق المزاح والمداعبة، وإلاّ فإن القبائل العربية التي نزلت في مصر أكثر من القبائل العربية التي نزلت في إريتريا، فضلاً عن العرب الآخرين الكثر الذين هاجروا إليها حتى صار الدين الإسلامي دين الأغلبية المطلقة فيها، وأما السودان فإنه بلد القبائل العربية المعروفة التي هاجرت من الجزيرة العربية، واللون الأسمر هو لون العرب في الجاهلية كما هو معروف، وقد رأينا قبيلة عربية معينة هاجر بعض أفرادها إلى السودان فصاروا سمراً بتأثير الجو والمصاهرة، وبعضهم هاجر إلى الشام أو العراق فصاروا بيضاً للسبب نفسه.

يوم إجازة:

قال المفتي جازماً: سنتركك اليوم للراحة، ونبدأ العمل معك غدا في التاسعة صباحا بالاجتماع في دار الفتوى، وكان الأخ السفير الطعيمي قد أخبرني أنه لم ينم البارحة إلا ساعتين، فقلت له: إنني أيضاً لم أنم البارحة إلا قليلاً، وحتى في الليالي الماضية لم أنم نوماً كافياً، لأن العمل مزدحم، والرابطة في موسم، وهناك كتب لي أعمل في تهيئتها للمطابع في المساء، فانتهزت هذه الفرصة التي لم أطلبها، ونمت نوماً عميقاً طويلاً، ثم كتبت ما شاء الله لي أن أكتبه، ومنه ما تقرأه الآن.

غداء الفندق:

نزلت للغداء في مطعم الفندق، فاستقبلني فيه الفتيات العاملات -- لا يوجد بينهن رجل واحد، وكلهن لبس لباساً موحداً، ومظهرهن جيد من حيث النظافة، ويتمتعن بأدب في معاملة الآكلين، أما المطعم فإنه كالفندق جديد، وطعامه على نظام المائدة المفتوحة التي فيها صحون كثيرة، ولكن التنويع فيها قليل، إلا فيما يتعلق بالخضرات.

من نافذة الفندق في أسمرا ترى المساكن التي بنتها كوريا على طريق المطار

وسألت موظفة عند المائدة عما إذا كان فيه لحم خنزير حتى أتجنبه، فذكرت أن فيه طعاماً واحداً فقط فيه خنزير،

والباقي حلال، وأقل ما فيه اللحم، وليس فيه سمك، وإنما اقتصر اللحم فيه على قطع قليلة من الشواء.

ثم وقعت على قائمة الحساب ولم أنظر إليها.

وصعدت إلى غرفتي في الفندق التي تفتح على منظر خالٍ جيد تابع للفندق، بعده طريق المطار، وبعده صف من الأبنية الجديدة، كأنما بنيت ضمن مشروع سكني واحد للأجانب أو ميسوري الحال من المواطنين.

يوم الخميس ١٤٢٠/١١/٢٥هـ ٢٠٠٠/٣/٢

صباح أسمرا:

أسفرت النافذة عن المنظر المألوف لي أمس، وهو باحة الفندق المفروشة بالحصباء، وهي الحصى الصغار، فيها زهور أرجوانية قليلة قد نسقوها في مواضعها على قلتها، ووضعوا عليها أخشاباً تشبه المجرفة الكبيرة من أجل أن تحمل أغصان تلك الزهور، وقد تسلقت عليها الأغصان بالفعل.

من الطابق الثاني في الفندق في أسمرا

والهدوء الشامل الذي لا تسمع فيه أدنى صوت، ذلك بأنهم أغلقوا نافذة الغرفة، مع أنها تفتح إلى شرفة فيها مقعدان من

اللدائن الدهم، ومائدة صغيرة، ولكنهم كتبوا على النافذة بالإنكليزية: الرجاء عدم فتح باب الشرفة لئلا تدخل منه الحشرات اللاسعة، ولا شك أنهم يريدون بذلك الليل وأطراف النهار، وإلا فإن الشمس مشرقة، ولا تطير الحشرات اللاسعة فيها إلا إذا كان ذلك في بلدان باردة، للحشرات فيها حياة موسمية زمنية مثل سيبريا، فقد شاهدت الحشرات اللاسعة فيها أمثال البعوض تطير وتهاجم الناس في ضوء الشمس، مثلما تهاجم في البلدان المعتدلة في ظلام الليل، وذلك أنها تعلم بالغريزة أن حياتها في هذه المنطقة محدودة بشهرين أو نحوهما، لذلك تريد أن تأخذ نصيبها من الحياة طول الوقت، وليس بالليل فقط، إضافة إلى شيء مهم جداً، وهو أنه في آخر شهر يونيو وأول شهر يوليو لا يوجد ليل مطلقاً في تلك المنطقة، وهي المنطقة القطبية المدارية وما كان في حدها من جهة الجنوب.

وقد زرت في هذا العام مدينة (نويف أنقوري) في أقصى سيبريا الشمالي على حدود الدائرة القطبية، فوجدت الليل فيها ساعة ودقائق، لأننا زرناها في يوليو، وليس في آخر يونيو حيث لا ليل، فكان البعوض فيها كثيراً إلى درجة لا تصدق، وصار يهاجمنا في وسط النهار هجوماً لم نستطع الامتناع منه إلا بالوصول إلى داخل السيارة، وإغلاق زجاجها علينا.

وقد رأيت بعض السكان في تلك المدينة القطبية يضعون على رؤوسهم وصدورهم شيئاً شبيها بالدرع، فيه مادة تطرد البعوض.

وأخبرنا أهل المنطقة أن الذين يريدون أن يعذبوا الشخص حتى يموت، ما عليهم إلا أن يربطوه إلى جذع شجرة ويتركوه، فيظل البعوض يعضه ويمتص دمه حتى يموت.

أما إذا كان خصمه رجلاً قوياً ثرياً، ويريد سرعة موته، فإنه يربطه إلى حصان ويجعله يسير، فيقبل عليه البعوض الشره الجائع يمتص دمه حتى يموت، وليس ذلك بالحكايات التي تحكى، فأنا جربت هجومها، والإخوة من المسلمين من سكانها يعرفون ذلك، ففيها مسجد ذو منارة شامخة، وجمعية إسلامية، وقد ذكرت ذلك في كتاب ((**شمال سيبيريا**)).

أما في هذا الفندق الجديد الأنيق، فإن المرء لا يصدم نظره من النافذة أي شيء غير جميل، أو غير منسق، فهناك بعده مساكن جديدة متساوية الارتفاع، لأنها بلا شك كلها مشروع سكني واحد، وحتى السيارات التي تسير مع طريق المطار الذي يقع عليه الفندق هي قليلة، وليست لها أصوات مزعجة، لأن الفندق داخل عن الطريق.

وإذا تأمل المرء ببصيرته ما وراء ذلك من حاجات السكان الناجمة عن الحروب التي خاضوها في سبيل الاستقلال مدة ثلاثين سنة أو تزيد، وكون قسم كبير منهم قد تركوا بلادهم وعاشوا لاجئين في السودان، أو مهاجرين في غيرها، مثل المملكة العربية السعودية التي فيها ٨٠ ألف مهاجر إرتيري يعملون، ولكنهم لا

يمكنهم أن يحصلوا على الجنسية. تكدر صفوه وعرف أن هذه المناظر الجميلة التي يتمتع بها الآن إنما أنشئت للقادرين من الناس الذين يأتون إلى البلاد في زيارة عمل، وبخاصة من الأوروبيين وأغنياء العرب.

وقد سمعت الناس هنا يقولون: إن الإرتيريين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين ونصفاً، ولكنهم ثلاثة أقسام: قسم يقيم في بلده، ويتألف من المقاتلين العائدين ومن الفقراء العاجزين، وقسم من اللاجئين، والقسم الثالث من المهاجرين المشتتين.

وقد رأيت بعض الإخوة المسلمين منهم في مهاجر بعيدة قد قبلوا لاجئين، مثل السويد وفنلندا، وحتى أستراليا، وإن لم يكونوا بالكثرة التي عليها الصوماليون اللاجئون، لأن الصوماليين لا حكومة في بلادهم، لذلك يقبلون لاجئين أكثر مما ما يقبل الإرتيريون.

صباح النحاس الرقيق:

والنحاس هو اللون القليل المفضل في ألوان الناس هنا، وأما الرقيق فإنه من الرقة في المعاملة وحسن التصرف، وليس من الرقة المادية ضد الكثافة، وتفسير ذلك أنني نزلت من غرفتي إلى مطعم الفندق، فاستقبلتني الموظفات الإرتيريات الرقيقات حساً ومعنىً، إذ لا كثافة أو ثقلاً في أجسامهن مثل تصرفاتهن، وما شبهتهن في المعاملة وحسن الاستقبال إلا بالأوروبيات، لولا هذا اللون الرمادي

الذي لا يكون نحاسياً في بعضهن فيزينهن عند بعض الناس، ولولا شيء آخر، وهو أن المرء يلاحظ أنهن لم يمررن بتربية بدنية تجعل القوام مستقيماً، ولا غرو في ذلك، لأن البلاد كانت إبان نشأتهن تعيش وضعاً صعباً من ناحية الطعام والأمن والمرافق العامة.

ومما أسفت له أنه وإرتيريا بلد يتقاسم المسلمون العدد من سكانها مع المسيحيين حسبما يقول الرسميون، وإن كان المسلمون يقولون إنهم أكثرية، فإن طعام الفطور في الفندق لا يدل على ذلك، إذ فيه صف من الصحون عددها سبعة، كلها من لحم الخنزير المنوع، وليس فيها من اللحم الحلال الذي يؤكل في الفطور إلا صحن واحد، فيه رقائق تشبه لحم الخنزير، ولكن الموظفة ذكرت أنها من لحم البقر.

وقد وجدت في ركن من الطابق الذي فيه المطعم فتاة جميلة تصنع القهوة وتسكبها في فناجين تشبه الفناجين التي نشرب بها قهوتنا، يجلس عندها الشارب على حشية، ذكرت أنها من مصر، فتسكب له فنجان القهوة، فإن أعطاها شيئاً أخذته، وإلا لم تطلب ثمناً للقهوة، لأنها موظفة في الفندق.

وذكرني ذلك بساكب القهوة وصانعها في فندق البستان أكبر فنادق سلطنة عمان وأفخمها، فقد جعلوا موظفاً خاصاً يصنع القهوة العربية العمانية، ويقدمها لمن شاء من الضيوف، والزوار يجلسون على الأرض ويشربونها، وهو مثل المرأة في كونه لا يطلب ثمناً للقهوة من أحد، إلا أنه إذ أعطي شيئاً أخذه.

الاجتماع بدار الفنون:

في التاسعة ضبطاً وصلت سيارة المفتي إلى فندقنا (فندق أسمرا بلاس) الذي يديره العربي اللبناني ثامر كريم مسعود، فركبت مع سائقها الذي يعرف العربية مثل غيره من أهل البلاد، وإن كان لم يذهب إلى أي بلد عربي، فدار بي داخل الحي السكني الحديث الذي يقابل الفندق وسبق ذكره، وقال: هذا بنته الحكومة، وتؤجره، وقد عرفت بعد ذلك أن الحكومة فرغت منه بأن باعته أو أجرته، فخرج من عهدتها. وهو حي جيد حديث، في أرصفته زهور، وشوارعه جيدة التزفيت، ولم يعرف السائق اسمه وإنما قال: الناس يقولون له الكوري، لأن الكوريين بنوه، وهذا هو الصحيح أن تنفيذه على أيدي الكوريين، ولكن من الذي أنفق عليه.

سوق شعبية صغيرة في ضاحية أسمرا

والواقع أن البلاد كما سبق أن قلت كانت قد عانت من الحروب في سبيل الاستقلال لمدة ثلاثين عاماً، حرمت أثناءها من المشروعات العمرانية الضرورية مثل هذا المشروع الحيوي.

ثم عاد السائق بالسيارة إلى شارع المطار الذي عليه الفندق قاصداً وسط المدينة، فرأيتهم غرسوا عليه أشجاراً من نخيل الزينة، وليست بالنخيل الهندية، فتلك لا تعيش إلا في البلدان الحارة، ولكن هذه من النخيل الغليظة التي هي أغلظ قواماً من نخيل التمر، وليست لها ثمرة ينتفع بها أصلاً.

وأقرب أنواع النخيل المعروفة إليها هي نخيل الزيت، إلا أنها غيرها. مما ذكرني منظرها بمنظر نخيل الزينة، مثلما في شوارع الرباط عاصمة المملكة المغربية، إلا أن هذا النخيل الإرتيري كان سيئ الحظ، إذْ شغل أهل البلاد عن تعهده بالسقي والعناية حتى ماتت عدة نخلات منه، ولم يبعدوا جثثها، أو يغرسوا بديلة عنها بعد، ويأتي السؤال الآن عن نخيل التمر، ولمَ لمْ يغرسوه ويستفيدوا من تمره؟، والجواب أنه لا يمكن أن يثمر لأن أسمرا مثل الطائف، ليس فيها فصل صيفي حار جاف يمكن أن ينضج فيه التمر، لأن الصيف فيها هو فصل المطر وهو بارد.

عندما وصلنا مدينة أسمرا رأيت ما كنت أعرفه فيها من كون النساء يلبسن رداء أبيض فوق ملابسهن، يضعن جانباً منه فوق الرأس، وباقيه يجلل الجسم، تلبسه النساء هنا مسلمات ومسيحيات، إلا أن قليلاً من المسلمات يلبسن العباءات، ولكن هذا صار نادراً

الآن،ولم أر اليوم امرأة واحدة عليها اللباس الإفرنجي المعروف وحده، بخلاف ما كان عليه الأمر سابقاً عندما زرت إرتيريا الزيارة الأولى؛ حيث كانت توجد بعض النسوة يلبسن الزي النسائي الإفرنجي، لأن البلاد لم يكن بعد عهدها بالاستعمار الإيطالى بعداً زمنياً كثيراً.

شارع رئيسي في قلب مدينة أسمرا

ورأيت طائفة من الناس أكثرهم من النساء،ينتظرون الحافلة في موقف لها خاص،وكل النساء عليهن هذه الأردية البيض، وقد جاءت الحافلة فرأيتها جميلة حديثة غير مزدحمة بالناس، وهذا صار هو الطابع العام على مدينة أسمرا الآن،لا يرى المرء زحاماً من الناس في الشوارع والميادين، وربما كان ذلك من أجل سعة شوارعها، أو من أجل نزوح طائفة كبيرة من أهلها لم تعد حتى الآن.

ورأيت شوارعهم نظيفة، وحتى الأرصفة متكاملة حافظوا عليها، وزادوها نظافة خلاف ما كنت رأيت عليه الشوارع في بعض البلاد والميادين فيها قد فسدت بعد الاستقلال، لما يتطلبه تعهدها وإصلاحها من إدارة حازمة مخلصة، ومن إمكانات مالية تصرف في مصارفها الصحيحة، ولو كانت قليلة.

ولاحظت أن اللافتات على المحلات التجارية، ودوائر الحكومة هي بالعربية مع التقرينية التي هي اللغة الوطنية في إرتيريا، وحروفها شبيهة بحروف المسند الذي هو الخط الحميري، بل الخط الذي كان مستعملا في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

جانب من مدينة أسمرا من مكان مرتفع

ولا عجب في ذلك، لأنها لغة سامية عريقة، وهي شقيقة اللغة

العربية، تفرعت معها من لغة سامية قديمة، يسميها اللغويون (السامية الأم)، وإن لم يعرفوها أو يعرفوا أين عاشت، ولكنهم يفترضون ذلك افتراضاً، إذْ لا بد للشقيقات من أمّ كما يقولون، أما بعض علماء اللسانيات فإنهم يفترضون أن اللغة السامية الأم هي العربية.

ماذا لو لم يات الإسلام ؟

عندما رأيت أن لغتهم شقيقة العربية، وهي شقيقة لغة أخرى مجاورة لهم على مسافة قريبة، بل هي ملاصقة لهم، هي لغة التجراي، وينبغي أن يلاحظ التقارب اللفظي بين الاسمين، ففي إرتيريا (التقريني) كما يقولون، واللغة الأخرى (التقرية)، لأنها لغة جماعات (التقراي)، وكلتا اللغتين من اللغات السامية المعروفة، وتجاورهما اللغة الأمهرية التي هي لغة منطقة (شوع) التي تقع فيها عاصمة إثيوبيا (أديس أبابا)، فهي أيضا سامية، ولكنها ضيقة، بحيث أن الذين يعرفونها من أهل البلاد الحبشية أو الإثيوبية هم قلة قليلة، رغم كونها لغة الملوك، وهي رسمية في البلاد.

ولقد قال أحد العلماء ذوي الخبرة باللغات السامية، إن عدد الذين يتكلمون بالعربية، أو قال يعرفون العربية في بلاد الحبشة (إثيوبيا) هم أكثر من عدد الذين يعرفون اللغة الأمهرية لغة الملوك ومنطقة العاصمة.

وكان قال ذلك قبل ٤٠ سنة، ولا يزال الأمر على ما هو عليه الآن.

والشيء الذي أثار هذه المسألة في ذهني هو السؤال الذي يقول: ماذا لو لم يأت الإسلام ! أي ماذا تكون عليه حال اللغة العربية لو لم يبعث الله رسوله محمداً ﷺ بهذه الرسالة الدينية الخالدة، رسالة الإسلام ؟ وينزل القرآن الكريم باللغة العربية التي شرفت بذلك، وسادت به على جميع اللغات السامية المعروفة بعد نزول القرآن الكريم بوقت قليل؟ بل إن تلك اللغات قد أخذت بالاضمحلال، كاللغة العبرية والسريانية والآرامية.

ومثل لغتي إرتيريا ومنطقة التقراي ؟.

لاشك أن الأمر لو لم يشرف الله اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها سيكون أقل من شأن اللغات السامية الأخرى، لأن بلاد العرب بلاد جدب وقشف، وشظف عيش، لا بد أن يهاجر منها قسم من أهلها إلى بلاد أخرى، يتخذون لغتها بديلة عن لغتهم.

وفي أحسن الحالات ستكون مثل شقيقتها لغة إرتيريا هذه محصورة في منطقة ضيقة من البلاد، لأنها الآن تعتبر رسمية، ولكنها في الواقع هي لغة المناطق الجبلية من إرتيريا، أما السواحل فلها لغة أخرى، والسهول الغربية المحاذية للسودان لهم رطانة أخرى، والقبائل الشبيهة بالرحل كبني عامر والبجه لهم لغاتهم أيضا.

المباحثات:

وصلنا دار الفتوى في وسط المدينة، فاستقبلنا عند الباب الخارجي المفتي، والأخ إبراهيم إسماعيل مدير دار الفتوى، أي المسؤول عن الشؤون الإدارية فيها، والشيخ إبراهيم آدم مسؤول التعليم الديني، وهما اللذان استقبلاني أمس مع المفتي في المطار، وقد اختلفت ذكر وظيفتهما في دار الفتوى، ولكنهما الشخصان البارزان فيها بعد المفتي.

لم يحضر المباحثات من الجانب الإرتيري غير هؤلاء الثلاثة، وليس معي أحد.

بدأت الجلسة في الدار التي رأيناها حديثة حسنة المظهر، ما عدا بعض درج مدخلها الذي يصعد به من الشارع، لأن دار الفتوى تقع في مكان مرتفع قليلاً، فقلت بعد حمد الله تعالى وشكره على هذا الاجتماع: إن رابطة العالم الإسلامي من أهم ما تعمل له هو التعاون مع الجهات الدينية والإسلامية في العالم، وقد مرت إرتيريا بظروف قاسية جعلت الاتصال بدار الفتوى فيها صعباً، بل مستحيلاً، والآن قد استقرت فيها الأحوال، فقد رأينا زيارتكم، لأن بلادنا قريبة، إذْ لا تبعد أسمرا عن جدة إلا بمسافة أقل من بعد الرياض عنها.

ثم عددت الأشياء التي نستطيع أن تتعاون معهم فيها، وهي:

أولاً: تسجيل دار الفتوى الإرتيرية في الرابطة من أجل دعوتها

للاشتراك في الاجتماعات والمؤتمرات الإسلامية التي تقيمها الرابطة والجهات المتعاونة معها، إذا كانت تلك الاجتماعات عامة للمسلمين، أو خاصة بهذه المنطقة من إفريقية.

ثانياً: استعداد الرابطة للإسهام في ترميم المساجد التي تضررت أثناء حرب التحرير نتيجة للحرب، أو نتيجة للانشغال عنها بسبب هجرة أهلها ونزوحهم إلى السودان.

ثالثاً: إرسال المصاحف الكريمة، والكتب الدينية التي تطبعها الرابطة، أو توزع بوساطتها.

رابعاً: تخصيص دعوة لشخصين سنوياً لأداء فريضة الحج ضيوفاً على الرابطة.

خامساً: تقديم بعض المنح الدراسية في الموضوعات الإسلامية.

سادساً: موضوع نقل بعض الدعاة الإرتيريين الذين تدفع الرابطة رواتبهم، ويعملون بين اللاجئين الإرتيريين الموجودين في السودان، إلى إرتيريا، لأنهم جميعاً من إرتيريا. وذلك للعمل في إرتيريا تحت إشراف الإفتاء في أسمرا.

وبعد ذلك قدمت للمفتي دعوة للحضور مع مرافقين اثنين لاجتماع المؤتمر الإسلامي العام الذي ستقيمه الرابطة.

في السفارة السعودية:

ولم أكد أستمع إلى ما يريدون قوله حتى هتف بي سفيرنا

الحصيف الأستاذ عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي يخبرني بأن اللقاء برئيس الجمهورية ربما يكون في العاشرة والنصف، أو الحادية عشرة من هذا اليوم .

فاعتذرت للمفتي ومن معه، وغادرنا دار الإفتاء قاصدين مقر السفارة السعودية، ويقع في حي راق غير بعيد من مقر رئاسة الجمهورية.

لقد سلم عليَّ وحياني موظفو السفارة الذين رأيت عددهم كثيراً، وذكر بعضهم أنهم كانوا اجتمعوا معي في بعض البلدان، مثل واحد ذكر أنه كان موظفاً في السفارة السعودية في بوينس آيرس بالأرجنتين، وأنني زرتهم في عام ١٩٨٢، ويذكر اجتماعي بالسفير آنذاك فؤاد ناظر.

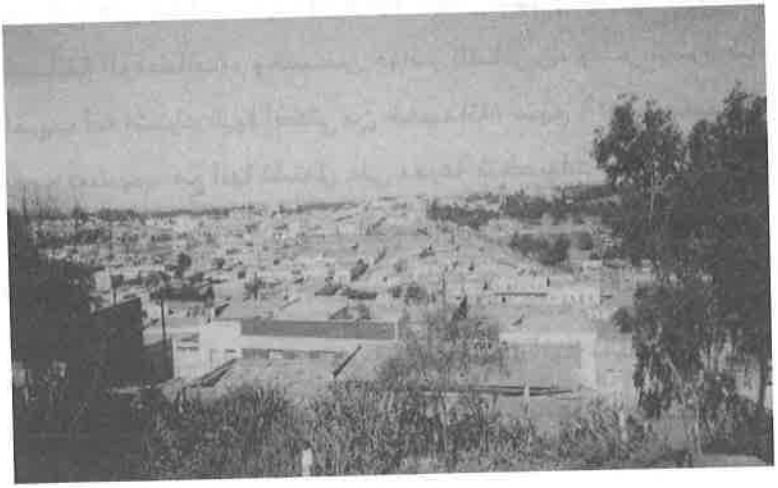

أحد الأحياء الجيدة في أسمرا، صورة التقطتها من مكان مرتفع

أما المبني الذي تقيم فيه السفارة الآن، فإنه مستأجر.

جلست في مكتب السفير الأستاذ الطعيمي، وبحثت معه في أشياء كثيرة، من أهمها ما يتعلق بمهمتي الاستطلاعية حول ما ذكر من إصدار قرار بإلغاء التعليم الإسلامي في البلاد، وما يتعلق بالأحوال السياسية وغيرها هنا، وحصلت منه على معلومات وثقت من صحتها، لأنني وجدته ثاقب النظرة، يقدر الأمور السياسية حق قدرها، ويعرف خفايا السياسة والحركات الأخرى في البلاد، كما يعرف تاريخ الحوادث المهمة التي حدثت في السنوات الأخيرة، لأنه كان سفير المملكة في أديس أبابا قبل انفصال إرتيريا عن الحبشة.

والسفير عبد الرحمن نشط حتى في غير الأمور السياسية، فقد قام على إنشاء مسابقة إسلامية خلال شهر رمضان، أسماها المسابقة الرمضانية، وخصص جوائز للفائزين، ومن الطريف الغريب أنه اشترك فيها أكثر من خمسمائة، منهم ١٨ مسيحيون، ونجح بعضهم، مع أنها تشتمل على معرفة شخصيات إسلامية، مثل الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وسيأتي نص السؤال المتعلق به.

ومن عجب أن ينجح بعض المسيحيين مع أنها باللغة العربية، وتتعلق بشخصيات مسلمة، ولكن هذا يدل على ما هو معروف من كون الإرتيريين يعرفون قدراً من العربية منذ زمن طويل، ويتكلمون العربية حتى من دون أن يتعلموها في المدارس.

وعلى سبيل المثال أن رئيس الدولة (أسياس أفورقي) وهو

مسيحي - كما هو معروف - يتكلم العربية كما يتكلم بها العرب، كما سيأتي عندما نتحدث عن مقابلته لنا، وقال لي الذين سألتهم عن كيفية معرفته العربية بهذا القدر دون تعلمها، فذكروا أنه تعلمها في الميدان، أي ميدان القتال، ثم خلال إقامته الطويلة في السودان إبان حرب التحرير.

وسيأتي ذكر رأيه باللغة العربية على وجه العموم في إرتيريا.

لقد خصص السفير مبلغاً قليلاً من المال، ذكروا - فيما أظن - أنه (٥٠٠ نقفة) للمتسابقين، و(النقفة) هي العملة الإرتيرية الجديدة، ويعادل كل ٨ نقفات دولاراً أمريكياً واحداً.

مأدبة المفتي:

أقامت دار الفتوى مأدبة غداء تكريماً لي، دعا إليها المفتي السفير السعودي الأستاذ عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي، وحضرها من دار الإفتاء الشيخان الملازمان له، وهما إسماعيل إبراهيم، وهو رجل ذكي ملم بكثير من الأمور، ويقوم بالعمل الإداري في (دار الفتوى)، والشيخ إبراهيم آدم مسؤول الشؤون الدينية.

ولتأكيد رسمية هذه المأدبة التي أقامتها دار الفتوى في الفندق الذي أسكن فيه، وهو (أسمرا بلس)، وجدت مديره ينتظر قدومنا عند باب الفندق، وهو عربي لبناني اسمه (ثامر كريم

مسعود)، ومظهره مظهر أوروبي من جنوب أوروبا، ولذلك تراءى لي أول الأمر أن الفندق يديره الإيطاليون، لأنني رأيت فيه عناية بكتابة بعض الإرشادات والأوراق باللغة الإيطالية، ولكن تبين أن إدارته عربية، وحتى الطباخون هم عرب مصريون.

لم أرَ فيه علامة على ذلك لمن لا يعرف الأمر، ما عدا إعلاناً من الهاتف باللغتين الإنكليزية والعربية يقول: إن هذا الهاتف يمكن الاتصال منه اتصالاً مباشراً إذا ضغطت على رقم معين. على أن هذا الفندق تملكه الحكومة الإرتيرية مع جهة إيطالية مشتركة معها، لا أدري أهي شركة إيطالية، أم هي جهة حكومية في إيطاليا.

وجدناهم أعدوا مائدة مستطيلة في مطعم الفندق، والطعام على طريقة المائدة المفتوحة، وقد طلبوا مني أن يحضروا لي طعاماً يختارونه، فقلت: أختاره بنفسي، وذهبت مع المفتي.

ولاحظت كثرة لحم الخنزير في صحون على حدة، ولاشك في أن السبب هو أن رواد المطعم من الأوروبيين والأمريكيين في الأصل، ولكن كان الأجدر بهم أن يراعوا حالة هذه البلاد التي تقع في منطقة إسلامية، ويرتاد هذه الفندق نفر ولو قليلاً من أهلها.

على أنني لم أرَ أي شخص سعودي معي فيه، إلاّ رجلاً واحداً، وكذلك لم أرَ أي عربي آخر.

مقابلة رئيس البلاد:

المؤلف مع الرئيس الإرتيري أثناء اللقاء

وهم لا يسمونه رئيس الجمهورية، وإن كان هو الرئيس الفعلي، وإنما يسمونه رئيس الدولة، لأن إرتيريا لا يزال اسمها (دولة إرتيريا)، وليست جمهورية إرتيريا.

كان حديث قد جرى بيني وبين سفيرنا في أسمرا الأخ عبد الرحمن الطعيمي حول ما أثارنا وأزعجنا، وهو سبب الرحلة الذي جعلني أزور إرتيريا، فنفى بعض ما فيه، وقال: سوف نهيئ لك لقاء مع رئيس البلاد (أسياس أفوارقي)، فهو صديق لي، وهو قريب من المملكة، حتى إنه يزورها كل عام، ولديهم مبررات لما فعلوه.

قلت له: إنني كما تعلم من رابطة العالم الإسلامي التي هي

منظمة شعبية عالمية، وليست إدارة سعودية، وحتى لو قيل: إنها إدارة سعودية على اعتبار أن الحكومة السعودية هي التي توفر لها الميزانية السنوية، والمقر، والتأييد السياسي، فإنني لست من وزارة الخارجية، ولذلك من الصعب من ناحية المراسم أن أتكلم مع رئيس الجمهورية في أمور داخلية، ربما يعد ذلك من التدخل غير المبرر في شؤون بلاده.

فقال: الأمر كذلك من جهة، ولكن ليس كذلك من جهة أخرى، فالرجل مطلع ومتفتح ومثقف وقارئ من الطراز الأول، حتى إنه وهو المسيحي ذكر لي أنه يتابع برنامج (الشريعة والحياة) الذي تذيعه محطة قطر التلفازية.

ثم إن العلاقات ما بين إرتيريا والمملكة هي علاقات جيدة، وهو يعرف أن المملكة لا تتدخل في الشؤون السياسية لبلاده تدخلاً مباشراً.

في مكتب رئيس الجمهورية:

ذهبنا إلى مكتب الرئيس في مجمع حكومي واقع على مرتفع عالٍ من العاصمة (أسمرا)، فكان المظهر الوحيد من مظاهر المحافظة على الأمن هو في البوابة الخارجية التي عندها جندي يحرسها، ولا يسمح بدخول السيارات منها إلا إذا كان عنده علم مسبق بذلك، إذا كانت السيارة تحمل أناساً من الأجانب.

وبالنسبة لسيارتنا فإنها سيارة (دبلوماسية)، فهي سيارة السفارة السعودية، ولديه عنها معلومات مسبقة.

وصلنا إلى مكتب الرئيس في وحدة سكنية معتادة، بل أقل من ذلك في عرف البلدان العربية، فهي وحدة من عدة وحدات سكنية، لا يميزها عن غيرها شيء، وترجلنا من السيارة، ولم يكن معي فيها أحد إلا السفير السعودي.

واستقبلنا شخصان لا اعرفهما بحفاوة، فدخلنا مع باب معتاد صغير هو الباب الخارجي للمبنى، وتقدمنا أحدهما صاعداً إلى الطابق الأول؛ حيث وصلنا إلى مكتب صغير، استقبلنا فيه الأخ (الأمين حسن الأمين) سكرتير الرئيس، وهو مسلم كما هو واضح من اسمه، وهو شاب مثقف يتسم بالذوق الرفيع، مع الأدب اللائق بمثل هذا المنصب، ولم يكن في المكتب إلا امرأة جالسة أمامه، ورجل أنصرف.

وبقينا وحدنا مع سكرتير الرئيس ومع هذه المرأة التي لم تتكلم بكلمة واحدة، وبدت كما لو أنها لم تلق بالاً لهؤلاء الزوار الذين هم في الحقيقة اثنان، أما السفير السعودي فهو معروف من الجميع في القصر، وهو صديق للرئيس، ويكثر من زيارته والاجتماع به، وأما أنا فإن ملابسي العربية تدل على أنني أجنبي.

المقابلة:

الرئيس (اسياس أفورقي) في مكتبه أثناء اللقاء
على يمينه المؤلف، فالسفير السعودي الأستاذ عبد الرحمن
الطعيمي

لم يمض على بقائنا في مكتب السكرتير الذي كان متواضعاً أيضاً حتى قال الأخ (الأمين حسن الأمين): تفضلوا، فدخلنا مباشرة من باب مجاور إلى مكتب الرئيس الذي وجدناه واقفاً ينتظرنا، ولم يكن جالساً لا على مكتبه ولا على كرسي، وكانت الساعة عندما دخلنا مكتبه هي الثالثة والنصف، ونسيت أن أذكر معنى اسمه وهو (أسياس أفورقي)، فأسياس: اسم نبي، أو قديس عند المسيحيين الأرثوذكس، وأما (أفورقي) فإنها تعني (فم الذهب)، أو (الفم الذهبي)، فـ (فو) هي (فو) العربية بمعنى

الفم، وينطق بها في الفصحى (فو) في حالة الرفع، و(فا) في حالة النصب، و(في) في حالة الجر، - إذا لم تكن مضافة – لأنها من الأسماء الخمسة المعروفة في علم النحو، وأما (ورقي) فإنها الذهبي.

لأن (ورق) في اللغة التقرينية تعني الذهب، على حين أنها تعني الفضة في العربية كما هو معروف.

رحب بنا (الفم الذهبي) ترحيباً حاراً، ولم يكن معه في المكتب أي شخص، ما عدا السكرتير، الذي دخل معنا وبقي يكتب ما يدور في الجلسة من كلام حتى نهاية المقابلة.

طلب مني أن أجلس بجانبه على مقاعد في المكتب بعيدة عن مائدة الكتابة، كما يفعل المرء بالشخص الذي يقدره إذا زاره في مكتبه بأن لا يجلس على المكتب وضيفه على الكرسي.

ورحب بي أول الأمر ترحيباً متحفظاً معتاداً، فرأيته كما كنت رأيت صورته من قبل خارج القاعة، لطيف الجسم، لا تستطيع أن تبتعد به إذا رأيته عن العرب السودانيين، لولا نحافة فيه، أو اعتدال في جسمه يميل إلى النحافة، ولا يبتعد من الصوماليين، لولا أن لونه أكثر وصفا بالسمرة من كثير من الصوماليين.

بل بدا أنه كالعرب من أهل نجد، لولا هذه السمرة في لونه، فتقاطيع وجهه ليست بعيدة عن تقاطيع وجوه أهل الجزيرة العربية، وإن كانت قامته أطول من قاماتهم.

تذكارية مع رئيس الجمهورية أسياس أفورقي
على يمينه المؤلف فالسفير السعودي

كان رحب بي باللغة العربية، فظننت أن ذلك مثل فعل بعض الناس الذين يعرفون عبارات مألوفة بالعربية، لا يستطيعون تجاوزها، غير أنه عندما استمر في الحديث تبين لي أنه يتكلم بالعربية مثلما يتكلم بها العرب، فقد تطرق حديثه إلى موضوعات سياسية عميقة تحتاج إلى دقة في التعبير، لا يقدر عليها إلا من أتقن اللغة، وتمرس بالنطق بها كثيراً.

بدأت الكلام بشكره جزيلاً على إعطائي شيئاً من وقته في هذه المقابلة، وقلت له: إن سروري عظيم بمقابلة بطل من أبطال الاستقلال، بل إنه أبو الاستقلال رغم صغر سنه، وقلت مخاطباً له شخصياً: إنك رغم شبابك فإنك أبو الاستقلال، فأنت الذي انتهزت

فرصة سانحة وأعلنت الاستقلال التاريخي الذي أنشأ أمة إرتيرية مستقلة، بعد أن خاضت نضالاً أستمر قرابة أربعين سنة.

وقلت له: إننا تابعنا نضال الشعب الإرتيري الذي كان حرب تحرير فعلية شاقة حتى توج بالنصر المبين حين أعلنت استقلال دولة إرتيريا، وانضمامها إلى الأمم المتحدة.

وقلت له: إن كل ما تقولونه أو تفعلونه، وبخاصة ما يقوله فخامتكم، يكون له صدى كبير في البلدان العربية، وحتى البلدان الإسلامية خارج المنطقة العربية، وربما لا تتصورون كيف يتم انتشار ذلك، والاهتمام به في البلدان العربية، وخاصة في بلادنا المملكة العربية السعودية، لأننا نعتقد أن لدولة إرتيريا أهمية عظيمة، لما تربطنا بشعبها من روابط تاريخية وثقافية قديمة وحديثة.

وقلت: لاشك في أنكم وأنتم المثقف الواسع الاطلاع تعلمون أن أول علاقة نشأت بين المسلمين وبين أي بلد آخر هي مع إرتيريا، وإن كانت تسمى في ذلك الوقت ببلاد الحبشة؛ سواء أكان ذلك على اعتبار أنها بلاد الحبشة، أو أنها جزء من بلاد الحبشة، ولكن الثابت أنهم نزلوا في جزيرة (باضع) قرب مدينة مصوع الحالية، وأرست السفينة أو السفن التي نقلتهم في (رأس مدر) في تلك الجزيرة، وهذه في إرتيريا بإجماع المؤرخين، ونحن نعرف أن التسميات للأماكن والمدن تتغير على الزمن، ونظن أن بلاد الحبشة القديمة هي وسط إرتيريا غير بعيدة من بلاد التقراي

المجاورة.

وقد قال النبي ﷺ: (إن في أرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده، أو قال: لا يضام عنده أحد).

وقد أقام الصحابة مدة في بلاد الحبشة التي هي بلادكم، وعادوا يحملون الثناء على المعاملة الكريمة التي عامل بها ملك هذه البلاد وقومه صحابة رسول الله ﷺ.

فكانت بلادكم بذلك أول أرض حلها أتباع رسول الله ﷺ خارج بلاد العرب.

وقد سمعت كلاماً طريفاً لأحد الإخوة هنا أمس، وهو قوله: إننا قبلنا وجود المسلمين في بلادنا، قبل أن يقبله أهل مكة، وذلك أن كفار قريش آذوا الصحابة الذين كانوا في مكة آنذاك حتى اضطروا للهجرة إلى الحبشة.

وقد نعى النبي ﷺ النجاشي ملك الحبشة إلى أصحابه حين مات، كما في الحديث الصحيح، واختلف العلماء فيما إذا كان صلى عليه صلاة الميت فيكون معنى ذلك أنه أسلم، أم أنه نعاه إلى أصحابه وأثنى عليه.

فضل بلال ﷺ:

هذا على مستوى البلاد، أما على مستوى الرجال، فإن

بلادكم قد أسهمت في حمله برجل عظيم، هو من السابقين الأولين المفضلين، وكان عبداً مملوكاً لم يمنعه ذلك من القيام بأمر الله والصبر على ما ناله من الأذى فيه، وهو (بلال بن رباح الحبشي) الذي نص العلماء على أنه من الحبشة، بل إن تسميته هي كذلك، (بلال بن رباح الحبشي)، وليس هو مجرد رجل إفريقي، وصار من كبار صحابة رسول الله ﷺ وساداتهم، حتى قال عمر ابن الخطاب في أبي بكر، وهما الخليفتان الأول والثاني: (أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا) يعني أنه أعتق بلالاً ﷺ الذي وصفه عمر بأنه سيده ومن في ذهنه من الصحابة.

وقال رسول الله ﷺ : (كأنني أسمع خشخشة بلال، أو صوت مشي بلال أمامي في الجنة). والخشخشة: الصوت الدقيق المتواصل.

وهذا يدل على سبقه وفضله، حتى إن الرسول ﷺ قد قدمه أمامه في الجنة.

واستعمله الرسول ﷺ بمثابة خازن للمال والمؤن، وقال في ذلك القول المشهور: (أنفق بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً).

وهذا فيه نكتة لطيفة تدل على أن بلالاً مفوض في الإنفاق من مال المسلمين الذين يتبع رسول الله ﷺ ، ففوضه في هذا الحديث بالإنفاق، وأوصاه بألا يخشى نفاد ما عنده منه، لأن الله سبحانه وتعالى سيخلفه.

وبالمقابل كان موقف رسول الله ﷺ، بل موقف الدين الإسلامي من أبي لهب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الذي كان شريف النسب، بل هو من أشرف أهل مكة نسباً، إلى جانب قرابته من رسول الله ﷺ، فهو عمه، أي أخو أبيه، ولكنه لم يقبل الإسلام، وعاند رسول الله ﷺ وخاصمه، فأنزل الله تعالى فيه وفي زوجه سورة من سور القرآن تتلى إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾.

ولم يذكر القرآن أي شخص آخر باسمه من الذين عادوا رسول الله ﷺ وآذوه حينما عارضوا دعوته غيره. والحكمة من ذلك والله أعلم، هي أن يعلم الناس - على مدى الدهور- أن القرب من النبي، أو الولي، أو الرجل الصالح، لا يقرب إلى الله زلفى إذا كان صاحبه ليس بذي عمل صالح.

فإذا قارنا بين مكانة بلال ﷺ، وهو الحبشي في الإسلام، وبين مكان أبي لهب، وهو عربي صميم، عرفنا فضل بلال ﷺ.

العلاقات القديمة بين إرتيريا والجزيرة العربية:

قلت له: إن العلاقات القوية بين إرتيريا والجزيرة العربية قديمة جداً، إذ هاجر أناس من أهل اليمن إلى هذه المنطقة من شرق إفريقية، وكانوا يحملون مدنيتهم ولغتهم السامية، بل وحتى حروفهم السامية، فاستوطنوا هذه البلاد، واختلطوا بأهلها الأصلاء، وذلك قبل ألف سنة من ميلاد السيد المسيح عليه السلام وما تلا ذلك.

وإذاً أصول السكان هنا أو أكثرهم هي عربية، أو فيها نصيب كبير من الدماء العربية.

وقد استمرت تلك العلاقات الثقافية، وحتى الاقتصادية، بل سائر أنواع العلاقات بين بلادكم والبلدان العربية على مر الدهور حتى الوقت الحاضر.

يا فخامة الرئيس، إن المثل القديم يقول: إن المرء لا يستطيع أن يختار والديه، وإنه كذلك لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يختار جيرانه، ونحن جيرانكم الأقربين، قد آلمنا وأزعجنا خبر يقول: إن السلطات الإرتيرية قد ألغت التعليم الديني في البلاد، ولم يقتصر ذلك الألم والإزعاج علينا وحدنا، بل تعدى إلى أمم وجماعات من المسلمين خلفنا.

والذين بلغنا أن التعليم الديني ألغي من المدارس؛ سواء منه التعليم المسيحي أو التعليم الإسلامي، وأشيع عندنا أيضاً أنكم

ألغيتم تعليم اللغة العربية.

والذين تابعوا جهاد الشعب الإرتيري، بل وأيدوه، لم يكونوا يتوقعون ذلك من حكومة الاستقلال، بل كانوا يتوقعون عكسه!.

وهنا بدأ الرئيس (أسياس أفورقي) يتكلم موضحاً لهذا الموضوع بإسهاب، فكان من ذلك أن بدأ حديثه بسرد تاريخي لربط بلاده بالجزيرة العربية، مفيداً بأنهم من جذور عربية نزحوا إلى هنا في القرن الثالث الميلادي، وذكر فخامته بأن المسيحية دخلت إلى إرتيريا في القرن الرابع الميلادي.

وأضاف قائلاً: إن الإسلام دخل إلى الحبشة قبل انتشاره في مكة، وإن الحبشة هي في الواقع المنطقة التي تقع فيها إرتيريا جغرافياً في الوقت الحاضر، وليست حبشة (هيلا سيلاسي)، وإننا نرفض أن يعرفنا شخص من تركيا أو من إندونيسيا أو من اليونان أو الأكراد بالإسلام، لأننا نعرف الإسلام قبلهم.

إن الكنيسة الأرثوذكسية هي صاحبة الحق في العيش في هذه البلاد، أما المذاهب المسيحية الأخرى كالكاثوليك والبروتستانت وغيرها فهي مستوردة من الغرب، وهي مسيسة وتخضع لتعليمات تمليها عليها بلدانهم (يقصد البلدان التي استعمرت القارة الإفريقية)، أما بعض الدول الإفريقية والتي دخل إليها الإسلام في القرن التاسع عشر الميلادي، فهي حديثة العهد بالإسلام، نحن نعيش في وسط مجتمع عربي، وتربطنا بالبلاد

العربية علاقات قديمة منذ آلاف السنين، وقد تجددت هذه الروابط أثناء كفاحنا المسلح ضد المستعمر الإثيوبي حتى الاستقلال، وقد استمر هذا الدعم من الإخوة العرب بعد الاستقلال.

أما بالنسبة لتعليم اللغة العربية، فهي مطلب شعبي توارثه الآباء عن الأجداد، وليس بغريب على الشعب الإرتيري التحدث باللغة العربية؛ سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي، وسبق أن قلت إنه مطلب شعبي، وضرب مثلاً على ذلك بأنه يقوم هو شخصياً بتدريس أبنائه اللغة العربية.

ثم قدم الرئيس الشكر لي — على حد تعبيره - على تقديم النصح له بشأن البرامج الإسلامية والعربية، وقال: أرجو أن تعتبرني مواطناً عادياً تتحدث إليه وهو يستمع، وأنا من موقعي هذا أرغب أن أتعلم، وليس هناك حرج عليكم، لأننا نستفيد من تجاربكم، ونحن في هذه البلاد نحتاج للدعم، وتقوم الكنائس العالمية وبالذات الأوروبية بتقديم الدعم (الغذائي) للشعب في هذه الظروف الصعبة التي نمر فيها، فتجد أن الكاثوليك - أقصد الكنيسة الكاثوليكية - تقوم بتقديم الطعام والسكر والشاي لهؤلاء الأشخاص من طائفة الأرثوذكس، وهي تطمع في تعميدهم بحيث تضمهم إلى المذهب الكاثوليكي المستورد، الذي نرفضه شخصياً، لكن وضعنا الاقتصادي يفرض علينا السكوت في الوقت الحاضر، لأن الكنيسة الأرثوذكسية فقيرة جداً، ولا تجد

الدعم المالي من الخارج، لذلك لا يوجد في هذه البلاد مدرسة أو معهد لتعليم المذهب الأرثوذكسي أو المسيحي عموماً.

أما الإسلام، فيجد الدعم، سواء من الداخل أو الخارج في هذه البلاد، فلذلك تجد المعاهد الدينية الإسلامية منتشرة في جميع أنحاء إرتيريا، وكذلك الخلاوي القرآنية، ونحن نؤيد قيام مثل هذه المعاهد، ولم يسبق أن تصدينا لها.

أما موضوع إيقاف التعليم الديني:

فقد استغل موضوع تدريس الدين مثل ما أشرت في السابق، وبالتحديد الدين المسيحي إلى ضغوط على بعض الجماعات لتحويلها من مذهبها الذي نشأت عليه إلى مذاهب مستوردة، مما أثار لنا المشكلات الكثيرة.

كذلك ليس من المعقول أن نقوم بإخراج الطلبة المسلمين من الفصل حتى يبقى المسيحيون لإعطاء الطلبة المسيحيين درساً في الدين المسيحي، لذلك قررنا إيقاف تدريس الدين الإسلامي والمسيحي في المدارس الحكومية فقط، حتى نتمكن من وضع برنامج يتماشى مع ظروفنا التي تتعرض لضغوط الكنيسة الكاثوليكية، والتي سبق أن شرحتها في السابق، والمدعومة من الفاتيكان، أما بالنسبة للمعاهد التي تقوم بتدريس الدين الإسلامي، وكذلك الخلاوي القرآنية، فهي مستمرة، ولم تتعرض للإيقاف.

ثم ذكر الرئيس أنه في الحي الذي يسكنه توجد كنيسة،

وهو لا يسميها كنيسة، لأن الكنيسة جعلت للعبادة فقط، وهذه جعلت للإزعاج، تقوم هذه الكنيسة بتوجيه تعليماتها الكنسية بمكبرات الصوت، وقد جمع عدة توقيعات من أهل الحي بأن ما تقوم به الكنيسة هو للإزعاج، وليس له صلة بالدين، وسوف يتخذون قراراً بإغلاقها، لأنها أصبحت محطة إزعاج لأهل الحي.

فقلت له: إذا كان الأمر كذلك، فينبغي أن توضحوا الحقائق للناس الذين يستمعون إلى وسائل الإعلام من قنوات فضائية وصحف وإذاعات وغيرها، فقال: وسائل الإعلام تسيطر عليها أمريكا. فقلت له: يا فخامة الرئيس، إنني من واقع النصح لكم الذي جرأني عليه ما سمعته من كلامكم، فقاطعني قائلاً: إنني سوف أستمع إلى نصحك بصفتي فرداً من الشعب، وحتى ليس رئيساً للجمهورية. فقلت له: أشكركم، وأريد أن أقول إن مصلحة الحاكم، وبخاصة لبلاد مثل بلادكم قد استقلت حديثاً، وعانت كثيراً في سبيل الاستقلال، وهي بحاجة إلى صداقة العرب والمسلمين، ألا تأتوا أمراً يؤثر على جيرانكم وأصدقائكم من العرب المسلمين، وأن تعرفوا أن الشيء إذا كان يحتمل وجهين، فإن الدعاية المعادية قادرة على إبراز الوجه غير الصحيح.

بل إن بعض الخلفاء والملوك المسلمين كانوا يبتعدون عما يثير عواطف الناس أو استنكارهم بأشياء غير مألوفة، مثلما روي عن الخليفة المهدي أن رجلاً حضر إليه في مجلسه الحافل بالناس، وقال: يا أمير المؤمنين، إن عندي هدية أهديها إليك، ثم رفع نعلاً

واحدة خلقة - أي مستعملة جداً — قائلاً: هذه نعل رسول الله ﷺ، كانت مخبأة عند أهلنا، فأحضرتها هدية إليك، لأنك أحق الناس بها، فأخذ منه الحذاء ووضعه على رأسه، وأعطاه جائزة، أي مالاً على ذلك، فلما خرج قال له وزيره: يا أمير المؤمنين، كيف تعطيه هذا المال، وهو يجوز أن ما ذكره غير صحيح، وأن الحذاء هذا معتاد، وليس هو حذاء رسول الله ﷺ، ويكون الرجل كاذباً.

فقال المهدي: والله إني أعلم أنه كاذب، ولكن لا نريد أن يتحدث الناس أن المهدي رد نعل رسول الله ﷺ ولم يبال به. فالعامة لا يكلفون أنفسهم استقصاء الحقائق.

فضحك الرئيس (أسياس أفورقي) كثيراً عند ذلك.

وقال: هذا صحيح.

ثم ذكرت له إعجابي بما رأيته في مدينة (أسمرا) من العناية بشوارعها وأرصفتها ونظافتها.

هذا وقد دارت أحاديث أخر، لم أرَ داعياً لذكرها بالتفصيل.

وفي ختام الحديث قدمت إلى الرئيس الإرتيري الدعوة للمفتي لحضور المؤتمر الإسلامي للرابطة، بأن قلت له: إن رابطة العالم الإسلامي تزمع إقامة مؤتمر إسلامي يعقد في مكة المكرمة، ونرجو أن تأذنوا لفضيلة المفتي بحضوره.

وقد رحب الرئيس بقبول الدعوة، وأنه سوف يكلف المفتي

بالحضور على رأس وفد إسلامي كبير، ليسمع العالم الصوت الإرتيري.

وفي ختام المقابلة قدمت الشكر للرئيس لإتاحة هذه الفرصة للاجتماع بفخامته.

هذا وقد استغرقت المقابلة ساعة كاملة، وأنهيناها قبل أن يظهر ما يدل على رغبته في إنهائها، وكان سكرتيره الأخ (الأمين حسن الأمين) يضبط الجلسة، بمعنى يكتب ما يدور فيها.

تذكارية مع رئيس إرتيريا (آسياس أفورقي) على يمينه المؤلف، فالسفير السعودي لدى إرتيريا

ثم طلبت منه أن ألتقط معه صورة تذكارية، فوافق على

ذلك، وانضم إلى الصورة الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي سفيرنا في (أسمرا)، وودعته شاكراً.

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف، ولم يكن لديّ برنامج خاص، فودعت السفير الطعيمي، وذهبت للفندق حيث أمضيت الوقت في الكتابة ومشاهدة تلفاز في الفندق ذي قنوات أجنبية عديدة، ليس من بينها قناة لإرتيريا، لأن تلفازها قصير البث، ولا أعرف أنه مشترك في الأقمار الصناعية التي تبث القنوات التلفازية.

يوم الجمعة ١٤٢٠/١١/٢٦هـ ٢٠٠٠/٣/٣م

استكمال المباحثات في دار الفتوى:

في الثامنة صباحاً ذهبت إلى دار الفتوى من أجل استكمال المباحثات التي كنت بدأتها معهم أمس، ولكننا قطعناها بسبب مقابلة الرئيس التي كانت تأجلت بسبب ارتباطات للرئيس حتى الثالثة والنصف.

ميدان في أسمرا

وجدت المفتي قد أعد كتاباً موجهاً إليَّ يذكر فيه ما يحتاجونه، وفيه أمور غير التي ذكرتها في مطلع الجلسة السابقة.

وهذا نصه، وقد أحببت إطلاع القارئ الكريم عليه لأنه

يدل على مدى حاجتهم للمساعدة من جهة، ولكونه صيغ بلهجة رسمية حكومية، مثل القول بأن عدد المسلمين في إرتيريا هو نصف السكان، وهذا هو القول الرسمي للحكومة، وإلا فإن المسلمين يقولون إن عددهم يتجاوز النصف إلى الستين في المائة، أو نحو ذلك، ولكن لم يوجد إحصاء رسمي شامل يقطع الظن ويأتي باليقين، فالحكومة لا تريد مثل هذا الإحصاء كما فهمنا منهم، أو ربما كان السبب في ذلك هو السبب نفسه الذي حمل الحكومة اللبنانية على عدم إجراء الإحصاءات للسكان خشية من أن يكشف عن عدد المسلمين الكثير، وعدد المسيحيين القليل كما يقول الإخوة المسلمون.

معالي الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد تشرفنا بحضور سعادتكم لبلادنا للمقابلة مع مفتي دولة إرتيريا، وللتباحث معه في شؤون المسلمين، وأمورهم الدينية، وعليه يسرني أن ألخص لمعاليكم أمور المسلمين الدينية، أما أحوالهم الأخرى فكغيرهم من مواطنيهم، من حيث إن البلاد كانت في حرب ثلاثين عاماً، ثم دخلت أيضاً في حرب أخرى فرضت عليها من نفس الجهة، ونسأل الله تعالى أن يطفئ هذه الحرب.

وأما أحوالهم الدينية، فإن الإسلام - كما تعلمون - دخل هذا البلد منذ أربعة عشر قرناً على أيدي الصحابة المهاجرين، ثم بواسطة الدعاة والمعلمين، فانتشر الإسلام حتى صار عدد المسلمين نصف السكان، وهم متمسكون بدينهم، ومحافظون عليه بحمد الله.

وإن دار الإفتاء الإرتيرية هي الجهة العليا التي تمثل الأمور الدينية الإسلامية، وكانت قد أغلقت بفعل الاستعمار الإثيوبي عقب وفاة المفتي السابق سماحة الشيخ إبراهيم المختار أحمد عمر -رحمه الله - عام ١٩٦٩م حتى كان التحرير، وفتحت دار الإفتاء من جديد عام ١٩٩٣م، وبدأنا ننظم الأمور الإسلامية الدينية، ولكن ضعف الاستطاعة حال بيننا وبين ما نصبو إليه، علماً بأن دار الإفتاء الإرتيرية هي المشرفة والمسؤولة عن كل الأمور الدينية للمسلمين، ولم نجد حتى الآن جهة تساعدنا في عملنا هذا — مادياً - بينما نرى الكنائس في إعمار مستمر بما تجده من الدعم من جهات أخرى، علماً بأن خادم الحرمين الشريفين قد أصدر أمره الكريم بصرف مبلغ من المال لصيانة وبناء المساجد بإرتيريا، وفعلاً قد بدأت الشركة المكلفة بصيانة وإنشاء ستة مساجد، ونأمل من الجهات الإسلامية، والمؤسسات الخيرية أن تدعم دار الإفتاء الإرتيرية، حتى تتمكن من أداء رسالتها على أكمل وجه.

وتتلخص مطالبنا الحالية فيما يلي:

١- إقامة مؤسسة إسلامية لدار الإفتاء الإرتيرية تحتوي على كل

متطلبات المكاتب.

٢- المساهمة في إقامة مشاريع استثمارية، مثل العقارات، ومطبعة تجارية، بحيث يكون ذلك مصدراً للاكتفاء الذاتي لدار الإفتاء الإرتيرية.

٣- دعم المعاهد الدينية والمدارس القرآنية.

٤- سيارات لدار الإفتاء، لتسهيل تنقلاتها بين الأقاليم الإرتيرية لمتابعة مهامها.

٥- إمدادنا بالمصاحف القرآنية بأحجام مختلفة، والإكثار من الأجزاء الأخيرة لصغار طلاب مدارس تحفيظ القرآن.

٦- إمدادنا بمكتبة متكاملة من المراجع المختلفة، والكتب الأخرى.

هذا-وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير، وسدد خطاكم، والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفتى إرتيريا

الأمين عثمان الأمين

فقلت لهم: إنه يجب أن نبحث معكم هذه الأمور فقرة فقرة، لأن بعضها فيه إجمال، وبعضها نحب أن نسمعكم رأينا فيه.

فالفقرة الأولى تقول: إقامة مؤسسة إسلامية لدار الإفتاء الإرتيرية تحتوي على كل متطلبات المكاتب.

قلت لهم: إنه لم يحدث أن أقامت رابطة العالم الإسلامي مؤسسة مثل هذه لأية جهة في العالم، وإنما كانت الجهات المعنية بها تبذل جهدها في التحضير لذلك من ملكية الأرض، إلى عمل المخططات والرسومات اللازمة، ثم تجمع بعض التبرعات للبدء بالمشروع، إذا لم تجد متبرعاً من خارج الرابطة يقوم بالإنفاق على المشروع أو أكثر، وفي هذه الحالة تساعد الرابطة على إتمام المشروع.

وذلك بأن رابطة العالم الإسلامي تتلقى طلبات من كل أنحاء العالم قاصيه ودانيه بغية المساهمة بها، ولا يمكنها أن تقوم بكل ما يطلب منها على مستوى العالم من ميزانيتها لضخامتها، وإنما تسهم فيها إسهاماً.

وفي حالتكم أنتم يجب عليكم أن تأخذوا زمام المبادرة، ثم تطلبون من الرابطة أن تساعدكم على ذلك، سواء من ميزانيتها، أو من أهل الخير الذين يتبرعون لمثل هذه المشروعات الخيرية، إذا زكت الرابطة المشروع، وذكرت لهم أنها مقتنعة منه.

الموضوع الثاني: الإسهام في إقامة مشاريع استثمارية، مثل العقارات، ومطبعة تجارية ... إلخ. وقلت لهم: إن هذا موضوع واسع غير محدد، والرابطة تعمل في الميدان الثقافي الإسلامي، وليس من عملها إقامة المشاريع الاستثمارية، ولكن إذا كانت عندكم أشياء محددة، واستشرتم من له خبرة في الأمر في البلاد

بشأن جدواها، فإن الرابطة تصلكم بالغرف التجارية في المملكة، وبرجال المال والأعمال الاستثمارية بالتمهيد لذلك عندهم، بتعريفهم بالجدوى الاقتصادية، والنفع الذي يعود على دار الإفتاء من ذلك.

أما الفقرة الثالثة، وهي دعم المعاهد الدينية والمدارس القرآنية، فإننا على استعداد لذلك، شرط أن تكون أوجه الدعم واضحة محددة، مثل بناء فصول جديدة في معهد من المعاهد، أو مدرسة من المدارس القرآنية، أو تقديم أثاث مدرسي محدد الغرض والمقدار، ومثل المساعدة على دفع رواتب المدرسين إذا عجز المعهد أو المدرسة عن ذلك، ونحن سندرس كل طلب على حدة، ونخبركم بما يحتاج لإكمال ذلك، إذا كان في طريقة تقديمه نقص، ولدينا في الرابطة لجنة مختصة بالمساعدات، هي التي تدرس جميع طلبات المساعدة، وتوجه بشأنها على ضوء دراستها.

الفقرة الرابعة: سيارات لدار الإفتاء. قلت لهم: إن الرابطة يمكنها أن تنظر في تقديم سيارة واحدة لدار الإفتاء.

خامساً وسادساً: المصاحف والكتب. قلت لهم: إن هذا متيسر ولله الحمد، ما عدا إنشاء مكتبة متكاملة، فإنها توجد بعض الكتب لدى الرابطة يمكنها أن ترسل إليكم منها.

وقد اقتنعوا بما ذكرته وقالوا: لقد وضحت لنا أشياء في هذه الأمور لم نكن نعرفها من قبل.

مقابلة الرجل الثاني في الدولة:

وضعت دار الإفتاء والحكومة الإرتيرية في برنامج زيارتنا في هذا اليوم بعد المباحثات في دار الفتوى مقابلة الرجل الثاني في الدولة محمود أحمد شريف، وبعضهم يكتبها شريفو، وهو من أبناء المسلمين، بخلاف الرئيس الذي هو مسيحي من المسيحيين الذين يسمون بالأرثوذكس، وهم أتباع الديانة المسيحية القديمة في هذه البلاد، بل في هذه المنطقة من الهضبة الحبشية.

ويصفونه بأنه (وزير الحكم المحلي)، وبعضهم ترجم وظيفته بأنها (وزير الحكومة المحلية)، وقد أجمعوا على أنه المسؤول المباشر عن الشؤون الدينية في الحكومة.

كان موعد مقابلته في العاشرة والنصف، فانطلقنا من دار الفتوى في العاشرة والربع، ومعي المفتي الشيخ الأمين عثمان الأمين، ومدير إدارة الفتوى (إسماعيل إبراهيم إسماعيل) الذي كان لازم المفتى في جميع الاجتماعات التي جرت معنا، كما كان استقبلنا معه في المطار، وكذلك سكرتير المفتي، وبعضهم يسميه مدير الشؤون الدينية في (دار الفتوى).

قصدنا المجمع الحكومي الذي يقع مكتب الرئيس في جانب منه، وهو مؤلف من عدة أبنية خالية من الفخامة، أو من ابتغاء المظهر الوجيه.

وسبب ذلك معروف من كون البلاد خارجة من حرب ضروس مع الإثيوبيين استمرت نحو ثلاثين سنة، بل إن الإثيوبيين الذي كان الإرتيريون يحاربونهم هم أيضاً وقعوا في اضطرابات، وفي عسر مالي.

لم نر أية حراسة ظاهرة على هذه المباني الحكومية المهمة، إلا أن عسكرياً كان موجوداً عند البوابة الخارجية لهذه المباني، يتأكد من السيارات الداخلة قبل أن يسمح لها بالدخول، وذلك أمر طبيعي كما هو معروف.

إلا أننا عندما وصلنا إلى المبنى كان داخله حراس عددهم قليل.

استقبلنا عند مدخل المبنى رجل من المراسم، تقدمنا بأدب إلى غرفة مدير مكتب الوزير، وهي غرفة معتادة خالية من الفخامة.

كنا نظن أننا سنجلس فترة في هذه الغرف كما هو المعتاد في مثل هذه الأمور، إلا أن باباً في الغرفة فتح، ودخل منه رجل لم نكن نظن أول الأمر أنه الوزير، فلم يقل لنا أحد ذلك، ولا بان التحفز والاستعداد عليهم عند اللقاء به، وتبين أنه هو الوزير محمود أحمد شريفو؛ الرجل الثاني في الدولة.

دخلنا مع الباب الذي فتحه الوزير، فوجدنا مكتبه بسيطاً، ولا تقول معتاداً، ولو كان لموظف في المرتبة العاشرة في بلادنا لعده أقل مما يجب له، ليس ذلك لكونه أصغر من قدره، ولكن لكونه يرى الفخفخة والتباري في المظاهر هي السائدة بين

الموظفين في بلادنا

فالمكتب ضيق، وأثاثه من الخشب المعتاد.

وجدنا سفيرنا النشط عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي عند الوزير، كما كان أمس معنا عند رئيس البلاد، وقد سبقنا إلى مكتب الوزير.

وقد بدأت الكلام بأن أوضحت للوزير دور رابطة العالم الإسلامي، ومنهجها الإسلامي بشكل واضح مسهب.

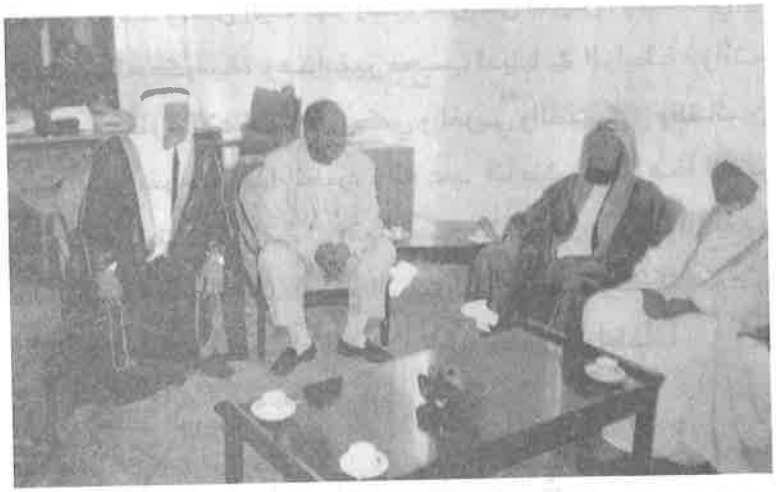

في مكتب الرجل الثاني في إرتيريا الوزير محمد أحمد شريفو على يمينه السفير السعودي، وعلى يساره المؤلف، فمفتي إرتيريا

وبدأ معالي الوزير حديثه بالترحيب بي، وشكر للرابطة التفكير أخيراً بإرتيريا، وإرسال مبعوث لتقصي الحقائق، وهذا ما

كانوا ينشدونه منذ الاستقلال.

وقال: إن أول علاقة بالمسلمين كانت ببلاد الحبشة، ونحن الأصل في الدعوة التي قبلناها، واستضفنا المبعوثين (السفراء) الأوائل.

فعلقت قائلاً: نحن في الرابطة نتابع ما يجري في إرتيريا بعد الاستقلال، واعتبرناها إحدى الدول المهمة في المنطقة، وخصوصاً ما يتعلق بالشأن الإسلامي فقط، أما السياسي فهذا متروك لأهل البلاد، وقد وصل إلينا نبأ إلغاء تدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية، وهذا غير محبب لدينا في الرابطة، وأنتم تعلمون سيطرة الإعلام الأمريكي والغربي والصهيوني والقائمين عليه الذين يفرحهم هذا الخبر، وأنه عند ما ينشر مثل هذا الخبر يؤثر في أنفسنا، ونحن في الواقع ننصح ولا نتدخل، أرجو أن يفهم هذا بالنسبة لكم، وقد أوضح السفير لنا الموقف، ولكننا نرغب في الأخذ منكم شخصياً، لأن هذا الخبر يمس العواطف.

أجاب الوزير:

إن رأيكم السديد، وحضوركم هذا شرف لنا نفتخر به أمام الجميع، وأرجو أن تتكرر هذه الزيارة، وأنتم تعلمون أن كل بلد له تركيبته الاجتماعية، وأن ما ينشر في الصحف ووكالات الأنباء عن إرتيريا بعد التحرير فيه مغالطات كبيرة، وتشويه للحقائق من قبل الإعلام الغربي والأمريكي والصهيوني الذي

يحاول وبكل وسائله إبعاد إرتيريا عن العالم العربي والإسلامي.

كما أن هناك أفراداً من ضعاف النفوس، سواء إرتيريين أو خلافهم في الداخل والخارج، من الذين لهم مصلحة في تشويه صورة إرتيريا يعزفون على هذا الوتر، كما أن هناك توجهاً لدى بعض المؤسسات الإسلامية والعربية، والصحافة العربية بصفة خاصة لتشويه الصورة، حتى إنهم يجعلون الدول المجاورة تتحسس من إرتيريا.

أما بالنسبة لدول الجوار وهي السودان، وجيبوتي، واليمن، والسعودية فلدينا روابط أزلية معهم، ولا يستطيعون التشويش، ونعترف بأن إعلامنا ضعيف، ولا نستطيع الرد عليهم بقوتهم الإعلامية، وفي النهاية نحن جزء من هذه الأمة المحيطة بنا، ولا بد أن نتعايش معها بأي شكل من الأشكال.

وأضاف معاليه قائلاً: المسيحية انتشرت في هذه البلاد قبل الإسلام، وكذلك الإسلام انتشر في هذه البلاد، وبشكل مواز نعتبر أن نصف الشعب مسلم، والنصف الآخر مسيحي.

وأنتم تعرفون أن الإسلام دخل إلى هذه البلاد بعد المسيحية، ولكنهما انتشرا جميعاً، نحن مهد الديانات المسيحية والإسلامية، وتركيبة شعبنا مقسومة قسمين: نصف مسيحي، ونصف مسلم، وحرية الديانة متروكة للجميع، ولا يوجد لدينا - ولله الحمد - وثنية، نحن شعب إما مسلم، وإما مسيحي.

وأضاف الوزير يقول.

وصلت إلى البلاد بعثات كنسية من الغرب لمحاولة القضاء على الكنيسة الشرقية التي يتبعها حوالي ٩٥٪ من مسيحيي إرتيريا، وهي مسيسة.

إن ما قامت به الرابطة، الذي يتمثل في إرسال معاليكم، فهذا نعتبره توجهاً جيداً يشعرنا بأن هناك اهتماماً من قبل الرابطة بهذه البلاد.

في مكتب الوزير الإرتيري محمود أحمد شريفو
من أيمن الصورة: مفتي إرتيريا، فالمؤلف، فالوزير شريفو، فالسفير السعودي

أما عن إيقاف تدريس الدين، فقد قال الوزير: تاريخياً لم يكن هناك تدريس لمادة الدين في جميع المدارس الحكومية،

ولكن حكومة إرتيريا، وبعد التحرير، هي التي أدخلت تدريس الدين الإسلامي كمادة تدرس للطلاب، حتى يلم الطالب بتعليمات دينه، ونحن عندما كنا صغاراً كنا ندرس الدين في المساجد أو في الخلاوي القرآنية، وبعد التحرير قامت الحكومة بافتتاح ثمانين مدرسة لتعليم اللغة العربية، وذلك بقناعة من الحكومة بتعليم اللغة العربية، حتى يتسنى للجيل الجديد التعامل مع الجيران.

وحدثت خلافات في طرق تدريس الدين، وذلك من جراء تداخل التركيبة المسيحية، لأنه ليس لديهم برنامج ديني واضح (أو ما نسميه منهجي) لذلك أوقفنا، وبشكل مؤقت، تدريس مادة الدين الإسلامي والمسيحي في المدارس الحكومية، أما المعاهد الدينية والخلاوي القرآنية فلم نتعرض لها.

ورغم مجهوداتنا هذه لم نجد الشكر من الإخوة، سواء في البلاد العربية أو الإسلامية، ولكن مجهودنا هذا قوبل بالانتقاد فقط، وأنا أعتبر أن نظراتهم ضيقة، ونحن هنا في إرتيريا نرغب في إقامة علاقات مع جميع المنظمات الإسلامية، كما أننا نرغب في رفع وعي رجال الدين حتى يتمكنوا من التزود بالعلوم الحديثة، لمتابعة مجريات العصر الحديث.

حيث إن المنظمات المسيحية تقدم مساعدات كبيرة لرجال الدين المسيحيين، أما بالنسبة لمساعدات الإغاثة التي تصلنا فقد قررنا أن تسلم جميعها لهيئة الإغاثة الإرتيرية التي تتولى توزيعها على المحتاجين بالعدل، حتى لا نترك الفرصة لفئة تزايد على فئة أخرى.

ونحن لدينا دار الإفتاء التي تقوم بنشر الدين الإسلامي، وتقديم الخدمات في هذا المجال للمسلمين، ونحن ندعم دار الإفتاء حسب إمكاناتنا.

وقال الوزير:

ولكننا لم نجد أي تجاوب من المنظمات الإسلامية، ونحن نرغب في إرسال وفود بصورة مستمرة للتعرف على مشكلاتنا، ومحاولة حلها من قبل هذه المنظمات، ونحن نقدر وصولكم مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي.

وقبل نهاية المقابلة تحدث المفتي فقال: نحن قمنا بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية أثناء تولي فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي لوزارة الشؤون الإسلامية، وزرنا جميع المؤسسات التابع للرابطة، وكذلك هيئة الإغاثة الإسلامية، وبنك التنمية الإسلامي، ولكن لم نتلقَ أي مساعدات حتى الآن.

وسوف أضرب مثالاً: إنه أثناء زيارتنا لدولة الكويت بعد الاستقلال، واجهتنا مشكلات كبيرة، وقالت الصحافة: إن مفتي إرتيريا حضر إلى الكويت للدعاية، وطلب المساعدة للحكومة الصليبية، ولكنني عقدت مؤتمراً صحفياً أوضحت فيه كل ما نعانيه في إرتيريا من مشكلات مادية، وطلبت حلها، وإرسال وفد لتقصي الحقائق، ولكن مع الأسف لم يصلنا أي زائر من الكويت، وأنا أؤيد حديث معالي الوزير بأن هناك أشخاصاً

يشوهون سمعة إرتيريا في الخارج.

صورة تذكارية مع الوزير محمود أحمد شريفو في أسمرا على يمينه المؤلف، وعلى يساره السفير السعودي

وفي الختام قدم المفتي شكره لرابطة العالم الإسلامي.

وعندما انتهى الكلام المتعلق بالمهمة التي قدمنا إلى إرتيريا من أجلها، تكلم الوزير بكلام يشبه أن يكون خاصاً معناه أن هذا القرار، أي منع إيقاف التعليم الإسلامي والمسيحي في المدارس الحكومية، هو في مصلحة المسلمين، لأن المسلمين بقيت لهم المعاهد الدينية والخلاوي القرآنية التي هي أكثر من ثلاثين مدرسة، وبقيت لهم المساعدات من الداخل والخارج، وأما المسيحيون من أهل البلاد فلم يبقَ لهم شيء، لأن المساعدات التي تأتي إلى المسيحيين هي للكاثوليك، والبروستانت، وليست

للأرثوذكس.

ولكن الإخوة في البلدان العربية لم يفهموا هذا.

ثم ذكر العلاقات القوية بين إرتيريا والمملكة العربية السعودية، فقال: نحن في مدينة جدة نشعر كأننا في (أسمرا)، لا من حيث اللغة التي هي العربية، ويعرفها أكثر الناس هنا، ولكن في أكثر الأشياء، فنحن لا نحس بالغربة عن العروبة والإسلام.

وقد استمرت مقابلته ساعة وربعاً، ودعناه بعدها شاكرين له إيضاحه المسهب.

جمعة إرتيريا:

قرب موعد صلاة الجمعة، فمررنا بفندقنا (فندق غالية) الذي يحمل اسماً عربياً، ويديره رجل عربي من لبنان، ويقوم على مطعمه عربي من مصر، فتوضأنا، وذهبنا بصحبة المفتي إلى (جامع الخلفاء الراشدين) في (أسمرا)، وهو جامع سبق أن أديت الصلاة فيه قبل ٣٦ سنة، ولا يزال عليه رونقه، ولا يزال يمتلئ بالمصلين، وقد اجتمعنا فيه في المرة الأولى بمفتي الديار الإرتيرية آنذاك الشيخ إبراهيم المختار أحمد عمر في مكتبة المعهد الذي كان يتخذ منها مقراً لدار الفتوى في ذلك الحين، وهو شخصية علمية معروفة، وقد توفي عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

رأينا الجامع عندما اقتربنا منه في مكان عالٍ، ومع ذلك هو

ذو بناء عالٍ يشرف على ما حوله من مسافات بعيدة، لولا قربه من بعض الأبنية لأنه في وسط المدينة الجيد.

ويتقدمه ميدان واسع، قد غرست فيه زهور منوعة جميلة.

وجدنا الناس يدخلون جماعات إلى الجامع ويتنفلون وقد شغلوا صفوفاً عدة منه، رغم طول صفوفه التي هي في عرض المسجد، ولم نجد عند أهله فيما يظهر علماً بمجيئنا، ولا قال أحد من مضيفينا إنه ينبغي أن نجلس في مقدمة المسجد قرب الإمام، بل جلسنا في الصف الخامس، لأننا لم نجد مكاناً غيره، إلا أن بعض المصلين وقد رأى علي الملابس العربية أفسح لي مكاناً بجانبه في الصف الثالث.

هذا وقد امتلأ المسجد، وقال المفتي وغيره من المرافقين إنه يتسع لألفي مصلٍ، ولم أستكثر ذلك، فقد بقيت بعد الصلاة، وبعد أداء السنة من أجل أن يخف الناس فأتجول في المسجد، وظهر لي ذلك.

أذن المؤذن الأذان الأول مثل ما عندنا تماماً، فصلى من صلى من الناس ركعتين، ثم دخل الخطيب وصعد المنبر، فأذن أذاناً ثانياً مثلما عليه الحال في الحرمين الشريفين.

وقد بدأ الخطيب الخطبة ونحن نسمع كلمة ولا نسمع كلمتين بعدها، ثم صرنا لا نسمع شيئاً، وقال المفتي ومن معه إن ذلك ناتج عن خراب في مكبر الصوت في المسجد قالوا: وفي

الأسبوع الماضي كان الأمر كذلك، ولكنني فهمت أنه يخطب بالعربية وحدها.

وصرت أجول ببصري بين المصلين فأجدهم نظيفي الثياب والأبدان، وعليهم علامات الخشوع واستحضار ذلك في الصلاة.

وأما مظاهرهم وألوانهم، فإنهم وسط بين الصوماليين والسودانيين، ولا يستطيع المرء منا أن يقول: إنهم أقرب إلى أحد الفريقين: الصومالي والسوداني من الآخر.

ثم أقيمت الصلاة كما يفعل الحنفية الذين يجعلون أكثر جمل إقامة الصلاة مثنى مثنى، وذكر لي المفتي بعد ذلك أن الإمام والمؤذن كلاهما حنفي، وقال: عندنا أيضاً شافعية، ومالكية، وأنا مالكي المذهب.

انتهى الإمام من الصلاة، فأخذ القوم يصلون على النبي ﷺ بشكل جماعي، ولكن بأصوات هادئة، ولم يستغرق ذلك كثير وقت.

وخرج الناس بتؤدة رغم الزحام، ولاحظت أن الأحذية الثمينة وغيرها كان المصلون تركوها عند أبواب المسجد في الداخل، دون خوف من أن تسرق أو تنهب.

ولاحظت قلة السيارات عند الجامع، مما يدل على أن غالب الناس يأتون إلى الجامع سيراً على الأقدام، وهذا واضح من كثرة الجوامع التي تقام فيها الجمعة في (أسمرا)، وهي عشرة جوامع

كما قال المفتي، ولذلك طلبت أن أبقي قليلاً في الجامع حتى ينصرف الجمهور من المشاة الذين ازدحم بهم الشارع، كما لاحظت شيئاً مهماً آخر وهو قلة (الشحاذين) عند باب المسجد الذين يكثرون في العادة بعد صلاة الجمعة.

الساحة التي يقع عليها جامع الخلفاء في اسمرا بعد صلاة الجمعة

كان الجمع خارج المسجد لا يزال حاشداً عندما خرجنا منه، وكنت ألبس الملابس العربية مما كان لافتاً لنظر كثير من الناس، لذلك صعب علي التصوير في المنطقة، فقررت أن أعود إليها مرة أخرى في وقت أوسع.

على أن ذلك لم يمنعني من إلقاء نظرة عاجلة على الميدان الذي يتاخم المسجد من جهة الغرب التي هي عكس القبلة، فأجده

ميداناً واسعاً مصاناً، ليس فيه ما يحتاج إلى عناية أو ترميم.

وهو جزء من ميدان (الفاتح من سبتمبر) إشارة إلى أول انطلاقة للثورة الإرتيرية ضد الحكم الإثيوبي التي كان تاريخها من أول سبتمبر عام ١٩٦١م.

ويصب في هذا الميدان (شارع التحرير)، ويقع في حي (ماي جهوتا).

مأدبة السفير:

كان في برنامج زيارتنا التي اتفقت عليه حكومة إرتيريا مع السفارة السعودية مأدبة غداء يقيمها سفيرنا في (أسمرا) السفير النشط عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي، وذلك بعد صلاة الجمعة هذا اليوم.

انطلقنا إلى بيت السفير، وهو غير مقر السفارة في (أسمرا) فوجدنا السفير قد أعد أماكن ومجالس لنحو ٥٠ خمسين في حديقة المنزل، وظلل جزءاً منها بمظلة، لأن داخل المنزل لا يتسع حتى لبعض المدعوين لكثرتهم.

كان مما سرني أن السفير الطعيمي دعا عدداً كثيراً من أساتذة الجامعات، ممن يحملون شهادات الدكتوراه، ومن المشهود لهم بالعلم والبحث، كما دعا عدداً ضخماً من المشايخ، إن لم يكن كل المشايخ من أئمة المساجد الكبار، وتدريس الدين

الإسلامي، والدعاة، ودعا جميع سفراء الدول العربية في (أسمرا).

فكان هؤلاء بتنوعهم المتفوق أشبه بالزهور النضرة المتنوعة في بيت السفارة التي تتناثر بل تكسو كل الفراغات فيه.

وهناك أشجار منوعة مثمرة في حديقة المنزل، منها شجرة البن (القهوة)، وهي شجرة تتدلى عناقيدها الصغيرة من أغصانها مع أنها تكون لاصقة بالأغصان.

ومن الطريف في منزل السفير هذا أن أعالي أسواره كلها مفروشة، أو قل مغروسة بالزهور، وقد ارتفعت متنوعة توحي إليك بأن حيطان المنزل قد صارت أشجاراً تنتج الزهور، والأمر ليس كذلك، ولكنهم جعلوا في أعالي السور فراغاً في وسطه، وجعلوه شبيهاً بأصص الزهور المتصلة، وساعد الجو الذي لا يعرف السموم، أو يقل فيه السموم على إبقاء الزهور النضرة نامية إلى جانب كونهم يتعهدونها بالسقي والرعاية.

وهذا البيت هو بيت السفير، وهو سري راق، مثل السفير وأما السفارة فإنها كما قدمت في مكان آخر مستأجر، ولكنها تملك أرضاً واسعة يجري الآن العمل في تخطيطها لبنائها بناء مناسباً لأهمية المملكة العربية السعودية.

ونسيت أن أقول إن السفير الطعيمي دعا فئة قلما يلتفت الساسة إليهم، مع أنهم جديرون بالتكريم والرعاية، وهم فئة التجار الذين يتبرعون للأعمال الخيرية من عرب وإرتيريين، أما

السفراء فقد حضر منهم السفير اليماني، والمصري، والسوداني، والليبي.

وهذه أسماء بعض الذين حضروا مأدبة السفير في (أسمرا):

١-الشيخ عبد الله أحمد	خطيب مسجد سلمان الفارسي
٢-الشيخ حاج حسين	خطيب مسجد على بن أبي طالب
٣-الشيخ محمود محمد	خطيب بالمسجد الكبير ومدرس بالمعهد
٤-الشيخ عثمان محمد نور	مدير معهد قندع
٥-الشيخ أحمد محمد	خطيب مسجد عمر بن عبد العزيز
٦-الشيخ إدريس سليمان	خطيب مسجد عبد القادر الجيلاني ومدرس بالمعهد
٧-الشيخ محمد برهانو	عضو مجلس الأوقاف
٨-الشيخ عبد العزيز أبادر	رئيس مجلس الأوقاف
٩-السيد هداد كرار	عضو مجلس الأوقاف
١٠-الشيخ إبراهيم آدم	نائب المفتي
١١-الأستاذ الدكتور بيان محمد	جامعة أسمرا
١٢-الأستاذ الدكتور عبد القادر صالح	جامعة أسمرا

إلى جانب السفراء والمفتي.

وكان من بين المدعوين الحاضرين رجل عرفته هنا لأول مرة وهو الأستاذ (محمد سعيد ناود)، وهو مؤلف وباحث معروف، وقد

سمعني أسأل عن الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والتقرينية لغة إرتيريا، فاحضر لي كتاباً ألفه فيه قائمة لتلك الكلمات، نقلتها في فصل اللغة، وكان قد علم من السفير الطعيمي اهتمامي بالبحث في تاريخ هذه البلاد وأمثالها، وكتابه عنوانه: (**العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي**)، وهو كتاب مطبوع مفيد في بابه.

ويعرف الأستاذ محمد سعيد ناود بأنه مؤرخ الثورة الإرتيرية، لأن له كتاباً ضخماً عن تاريخ الثورة الإرتيرية باللغة العربية - طبعاً - أهداه لي أيضاً بعد ذلك، وكان أقام في السودان أثناء الثورة الإرتيرية.

تذكارية مع بعض كبار المدعوين في مأدبة السفير السعودي في أسمرا، والسفير على يميني في الصورة

وكان السفير عبد الرحمن الطعيمي هو النجم اللامع في

هذا الاحتفال الكبير من صفوة رجال الدولة، وقد دعا بعض الوزراء وكبار موظفي الدولة، وتبين لي من ذلك قوة علاقاته بالشخصيات الكبيرة، وذلك منذ أن حضر معي مقابلة رئيس الدولة التي ذكرتها فيما سبق، ورأيت الرئيس (أسياس أفورقي) يعامله كما يعامل أخاه.

الطعام المنوع:

دعانا السفير الطعيمي إلى الطعام بعد أن اكتمل عقد المدعوين، بل عقودهم، فكان الطعام عربياً إرتيرياً لبنانياً، وذلك أن فيه خروفاً كبيراً محشواً بالأرز والمكسرات، وهذا طعام عربي، ولكنه فيه (الكسرة) الإرتيرية السودانية، وهي خبز من حب صغير، إذا رأيته حسبته نوعاً من الدخن، وخبزه لذيذ الطعام جداً، وكنت ذقته فاستطبته، وبخاصة في إرتيريا في الرحلة الأولى، ولكنه كان ساذجاً، وأما هذا فإنه محشو أيضاً بقطع من اللحم الصغير والتوابل.

ثم الخبز المحلي، والأرز مع اللحم، و(السمبوسك) الحارة التي إذا فرغ صحنها أعاده الطباخون مليئاً بقطع جديدة.

وهناك المقبلات من الحمص والمتبل، وأنواع من السلطات، وأنواع من الشطة المخلوطة بالزيت، وتسمى هناك في اليمن (البسباس).

وتسميتها بالشطة والبسباس أقرب إلى الصحة من تسميتها بالفلفل، لأن الفلفل الذي يعرفه العرب القدماء هو ذو الحب الأسود، وكان معروفاً منذ عهد الجاهلية، وورد ذكره في معلقة امرئ القيس:

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها، كأنه حبُ فلفل

والآرام نوع من الظباء البيض، أما هذا الحار الشديد الحرارة الذي هو ورق وليس حَبَّاً، وهو المسمى عندنا في الحجاز بالشطة، وفي نجد (الحبحر) وفي اليمن (البسباس)، فإنه جديد لم تعرفه العرب في جاهليتها، وقرأت في بعض المصادر أن العالم القديم لم يعرفه إلا بعد اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين، مثله في ذلك مثل كثير من النبات كالتنباك الذي يُدخَّن، والبطاطس، والطماطم.

كان طعام الغداء على هيئة مائدة مفتوحة ضخمة، ومع ذلك كان الطباخون يزيدون أوانيها من أنواع الطعام الذي يقل فيها، فكان كل شخص يغترف بصحته من الطعام، ويجلس مع من يريد على موائد صغيرة متفرقة، وكان على مائدتي عدد من أساتذة الجامعات، ومن السفراء سفير اليمن الذي وجدته من المحبين للبحث في تاريخ العلاقات مع هذه البلاد.

وقد تجادلت مع بعض أساتذة الجامعات في عدة أمور كنت اعتقدت أنها من المسلمات، ثم سمعت آراء لهم نحوها، ولا أريد أن

أثقل على القارئ الكريم بذكرها هنا، وإنما ذكرت بعضها في مكان آخر من الكتاب.

وبعد الفراغ من الطعام كانت مائدة الفاكهة، بل موائدها، ومعظمها مستورد، قد اكتملت ومعها الحلوى، فأكملنا على تناولها البحث في كثير مما كنا بدأنا فيما يتعلق بتاريخ إرتيريا وعلاقتها بالبلدان العربية.

وكنت أحضرت نسخاً من بعض مؤلفاتي للسفير، وأحضرت معي قليلاً منها، ولكن الحاضرين، وهم كما قلت من العلماء والمثقفين تبادروا للحصول على نسخ منها، مما جعل السفير يحضر نسخ الكتب التي لديه، ويضمها إلى ما هو موجود معي، حتى يلبي رغبة بعضهم في الحصول على تلك الكتب.

تذكارية مع كبار المدعوين في بيت السفير السعودي في أسمرا

هذا وقد انتهت هذه المأدبة الحافلة مع أذان العصر، فرجعنا للفندق، وفي الأصيل كان لي اجتماع في الفندق مع بعض المشايخ أيضاً.

يوم السبت ١٤٢٠/١١/٢٧هـ ٢٠٠٠/٣/٤م

جولة في مدينة أسمرا وما حولها:

أبديت رغبتي في القيام بجولة على مدينة (أسمرا) وما حولها، فعرض عليَّ السفير أن يرسل معي أحد الإرتيريين وسيارة معه لهذا الغرض، كما عرض عليَّ المفتي القيام بذلك بالسيارة، والمرافق الذي معنا، ولكنني قلت له: إنني لا أكتفي بأي شخص يذهب معي، بل لا بد أن يكون الشخص الذي معي من أهل (أسمرا)، ولا بد أن يكون عارفاً ببعض تاريخها، فاتصلوا من دون أن يشاوروني بمصلحة السياحة الحكومية، فخصصوا لي اليوم سيارة من سيارات الحكومة، قوية من نوع الجيب، ومعها دليل سياحي متمرس.

حضرت السيارة إلى فندقنا (فندق غالية) في الثانية إلا ربعاً كما كان مقرراً، ومعها الدليل السياحي الذي يعمل في هذا الميدان منذ مدة طويلة، وهو مسلم اسمه (محمد نور صالح)، ولا غرابة في ذلك، لكون أغلبية السكان من المسلمين فيما يعتقد الكثيرون، ولكن الغرابة في الذي يسوق السيارة، وهي امرأة اسمها (عربو ياسو)، فاسمها غريب، وفسروا لنا معنى (عربو) بأنه براعم شجرة العنب بلغتهم، هكذا قال السائق الذي يتكلم العربية بطلاقة مثل أكثر الناس هنا، أما السائقة فإنها تعرف

شيئاً من العربية، تعلمته من الناس دون معلم رسمي، وأما (ياسو) في اسمها، فإنهم يقولون إنه (الياسو) وهو اسم ديني.

أبوها مسلم، وأمها مسيحية، سألتها عن ديانتها هي فقالت: إنها الإسلام، وذكرت أنها ربت في ميدان القتال، لأن الجيش الإثيوبي كان قد دمر قريتها، ولم يبق لها فيها مسكن، فالتحق أبوها وأمها بالمجاهدين الإرتيريين.

بدأنا الجولة بالذهاب إلى المطار القريب، وذلك أن على طريقه منازل جيدة، وهو نفسه جيد المبنى، وفيه حركة سيارات، لاسيما في هذا الوقت الذي يذهب فيه الحجاج إلى مكة المكرمة، وقد رأيت أعداداً كبيرة من المودعين للحاج من رجال ونساء، وقد رابطوا في المطار.

ولما سألتهم عن طريق المطار هذا متى بني لأنه جيد، ذكروا أنه قبل التحرير، يريدون أنه بني قبل تحرير إرتيريا من الحكم الإثيوبي وحصولها على الاستقلال.

ويبعد المطار عن قلب المدينة بعشرة كيلات.

ويسار الطريق مزارع خضراء يانعة، ذكروا أنها كلها تسقى من آبار ارتوازية محلية، أما ما يلي الجهة اليمنى للذاهب إلى المطار، فإنه أعشاب برية كثيفة، جيدة لرعي الماشية، ذكروا أن هذا الوقت هو موسم الجفاف، ولذلك رأينا أكثر تلك الأعشاب جافة، إلا أنها جيدة لرعي الماشية، ولم أر فيها حيواناً يرعى،

فذكروا أن بلادهم وافرة المراعي، وأن الحيوان فيها يكون في أمكنة بعيدة عن العمارة.

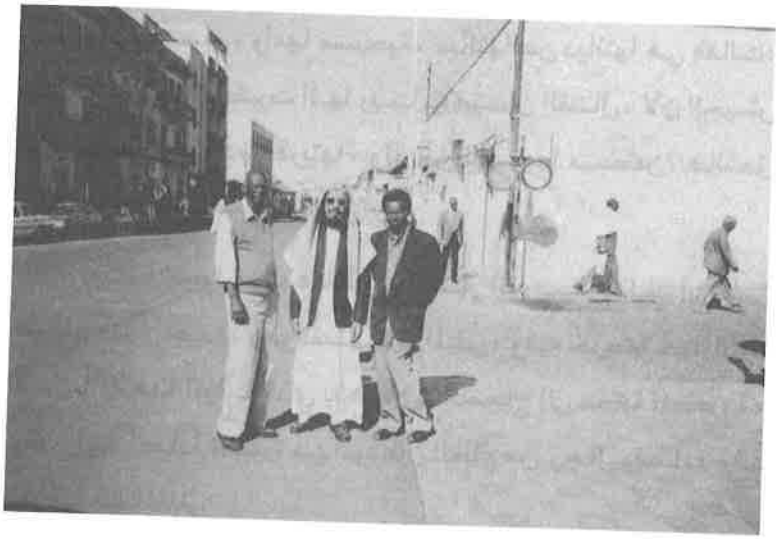

في شارع عوت (النصر) في أسمرا مع أخوين من أهلها

ابلاغ الحبشية:

رأينا أشجاراً حسنة المظهر من أشجار (البرشومي) أوالصبار، وهو المعروف في مصر بالتين الشوكي، ونحن نحب أكله، قد اعتدنا على ذلك منذ أن صرنا نأتي إلى الطائف في الصيف.

وقد ذكرني مرآه بقصة حدثت لي في الزيارة الأولى لإرتيريا، وهي أنني رأيت فلاحاً معه زبيل مليء بثمار التين الشوكي هذا،

وواضح من حاله أنه فلاح، وأنه سيبيعه برخص، فسألته عن ثمنه فقال: ٢ بر. والبر: كان عملة إثيوبيا التي كانت إرتيريا تشكل معها دولة الحبشة، فقلت: بل بر واحد، وعلى شرط أن تقطعه وتعطيه لمن أردت أنا أن يأكله، فوافق، وكنت رأيت جماعة من الصبيان المشردين في الشارع، وهم في ثياب زرية فعلمت أنهم فقراء، فقلت: أطعمهم، وإذا انتهيت من تقطيعه كله، بمعنى قطع قشره، أي تقشيره، وإطعامه للناس أعطيتك ثمنه، فكان ينادي على مَنْ مر مِنَ الناس وبخاصة الصبيان، يقول بلغته التي أظنها التقرينية: إبْلَع، إبْلَع، وهو يقدمه لهم.

وكنت قرأت في بعض كتب التفسير لقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾. بأن كلمة (ابلعي) من الحبشية، وكأنما ظن قائل ذلك أن وجود كلمة في لغة أخرى غير العربية يجعلها أجنبية، والواقع أن الأمر في الحبشية التي هي التقرينية، أو التقرانية هو أنهما سليلتان للغة عربية قديمة هي الجعزية، وهي لغة السبئيين التي حملوها من اليمن إلى هذه البلاد، ولذلك لا غرابة في أن تكون فيها كلمات مشتركة ما بينها وبين العربية، وقد قدمت نماذج لذلك في فصل اللغة عنها.

وهذا الشجر (البرشومي) أو التين الشوكي لا يبقى مثلما أنه عندنا في الطائف وجنوب المملكة من جبال السرات، لا يبقى مثمراً طول الوقت.

وقد قابلنا بعد المطار (سَرْح بقر) وهو البقر الذي يجمعه راعيه من أهله، ثم يذهب به إلى المرعى لقاء أجر معلوم، وكان هذا موجوداً في بلادنا قبل التطور الأخير؛ حيث كان الأثرياء والمتوسطون في حالهم المالية يملك الواحد منهم بقرة يرسلها مع الراعي إلى الخلاء لترعى.

وبعد سرح البقر (الإرتيري) هذا قابلنا سرح غنم، وسألتهم بهذه المناسبة عن قيمة العنز، لأننا رأينا معزى ليست جسيمة، فهي تشبه معزى تهامة، إلا أنها أكبر منها، فأجابوا: إنه في حدود ١٦ دولاراً أمريكية.

الريف غير المعتنى به:

خرج بنا الدليل من منطقة المطار، بل من منطقة العمارة كلها في (أسمرا)، فصرنا نسير في ضواحيها، فكانت تتميز بشيئين: الأول خصب ظاهر في بعض الجهات المعمورة بالزراعة، مما يدل على أن البلاد فيها إمكانات زراعية كبيرة تحتاج إلى خبرة ورؤوس أموال لكي تصبح منتجة، لأن الجو فيها جيد، وتأتيها أمطار موسمية كافية، وفي باطنها مياه جوفية كثيرة، والثاني الإهمال الظاهر في المرافق فبعض الطرق خالية من الزفت تماماً، وبعضها سيئ إلى درجة أنه يؤذي السيارة لعدم تعبيده، فضلاً عن تزفيته.

وعندما رأيتها كذلك، وقارنتها بشوارع (أسمرا) الواسعة المعتنى

بها، تجلى لي الفرق الشاسع بينهما، لاسيما عندما نظرت -أيضاً - إلى حالة البيوت في هذا الريف التي هي ذات مظهر سيئ أيضاً.

وأكثر ما يظهر من ذلك سببه الفقر، وقلة ذات اليد، وقلت في نفسي: إنهم ربما أرادوا أن نرى هذه الأماكن من أجل أن نعرف شدة حاجتهم للمساعدة الاقتصادية، ولكنهم إذا كانوا أرادوا فإنهم قد أخطأوا الهدف، لأنني لست من العاملين في هذا الميدان كما هو معروف وواضح، ومع ما ذكرته من نقص المرافق في ريف مدينة (أسمرا) وضواحيها، فإنني رأيتهم الآن يعملون في شارع جيد ذي اتجاهين، كأنما يريدون أن يجعلوه بمثابة الشارع الرئيسي الدائري للمدينة.

الطريق الذي يصلح في ضواحي أسمرا

ويقع هذا الطريق الذي رأيت العمال يعملون ومعهم آلات

جيدة في تزفيته في الجهة الجنوبية الشرقية من (أسمرا)، وقبل ذلك رأيتهم مهدوه ثم عبدوه، فعرفت أنهم يعملون ما في وسعهم لبلادهم.

إلا أنني ينبغي أن نتنبه إلى أن سوء النظر في السياسة قد جرَّ على هذه البلاد المزيد من الفقر، إذْ من المعروف أن ثلث سكان البلاد لا يزالون لاجئين أو مغتربين، ولم توفر الحكومة لهم وسائل العيش التي تغريهم بالعودة، ومع ذلك نراها تبدأ حروباً ونزاعات تتطلب نفقات هائلة لا قبل للدول التي لا تواجه مشكلات في حجم مشكلاتها الاقتصادية بمواجهتها.

وقد لاحظت في هذه الأماكن، كما لاحظت في داخل المدينة، أن أعداداً من الشبان والرجال يبدون كما لو لم تكن لديهم أشغال تشغل بالهم، أو تستنفد أوقاتهم، وهذا أمر صحيح، لأنه لا توجد مشروعات اقتصادية، ولا مصانع يشتغلون فيها، حتى في الميدان الزراعي الذين هو سهل للجميع، لا توجد الحوافز له مثل القروض، وتسهيل الحصول على الآلات الزراعية الحديثة.

سلكنا ما انتهى العمل فيه من هذا الطريق المزفت الجيد، ورأيناه ذا اتجاهين، بينهما جزيرة لا تزال تحتاج إلى زراعة، ورأيناهم زرعوا ما انتهى منه منذ وقت طويل بالزهور والأشجار.

ميدان إرتيريا:

عدنا إلى دخول مدينة أسمرا من جهة الشرق، وهي جهة لم

أرها في هذه المرة قبل اليوم، فرأينا كنيسة ضخمة، قال الدليل: إنها أكبر كنيسة أرثوذكسية في البلاد، إنها قديمة، كان بناؤها قبل عهد الاستعمار الإيطالي.

المؤلف في ميدان إرتيريا في أسمرا

ثم وصلنا إلى ميدان اسمه (ميدان إرتيريا) وقفنا فيه والتقطنا صورة لجانب منه، ورأيت الشوارع والأزقة فيه مكتوباً عليها أسماؤها بالعربية والتقرينية كلها كذلك.

حتى الحوانيت الصغيرة في هذه المنطقة عليها أسماؤها، وصناعات أهلها، أو ما تبيعه، بالعربية والتقرينية، وأحياناً بالعربية وحدها، وقد دخلت أكثر من محل فيها، لا لشيء إلا لأعرف ما إذا كان أهله يتكلمون العربية، فكلهم بدون استثناء كانوا يتكلمون معي بالعربية، وأقرب اللهجات التي سمعتها من لهجتهم

هي السودانية، وإن كان بينها وبين اللهجة السودانية اختلاف.

ورأيتهم يتكلمون العربية بعفوية، فلا يظهر عليهم أنهم يتذكرونها، أو يعصرون أذهانهم ليتذكروها، بل كانوا يتكلمون بها بشكل طبيعي، ولاحظت أن بعضهم يتكلمون بها فيما بينهم.

وربما كانت هذه المنطقة منطقة إسلامية، لأنها قريبة من جامع الخلفاء الراشدين.

العودة إلى جامع الخلفاء الراشدين:

طلبت أن أعود لجامع الخلفاء الراشدين الذي صلينا فيه أمس، وذلك من أجل التقاط صورة له ولميدان صلاة العيد الذي خلفه، وقد التقطنا صورة وقرأنا لافتة المسجد بالعربية وحدها: (جامع الخلفاء الراشدين بني عام ١٣١٩هـ)، وهذا بلا شك تاريخ البناء الحالي، ورأيت المسجد مفروشاً بما يشبه البساط الموحد (الموكيت)، ذي اللون الأحمر، ما عدا زيادة فيه فهي باللون الأخضر.

ووجدنا أخوين يعملان في تنظيفه وخدمته، أحدهما اسمه (حسن جهار محمد نور)، والثاني (طه حاج عثمان)، وقد أسرع الدليل السياحي يقبل يد أحد الرجلين، وقال: هما يخدمان المسجد، ثم صار - أعني الدليل - يصلي تحية المسجد.

صورة في محراب جامع الخلفاء الراشدين بين الأخوين اللذين ينظفانه احتساباً لوجه الله

قال الأخوان بعربية واضحة غير متكلفة، بل لم أشعر بأي فرق في كلامهما أو في كلام قومنا في جدة أو مكة: إننا نعمل في تنظيف المسجد كل يوم.

ويقع إلى جانب المسجد من جهة الجنوب مبنى كبير من عدة طوابق، هو مبنى المعهد الديني الإرتيري، وذكرت أنني كنت قابلت في المرة الأولى مفتي إرتيريا السابق الشيخ (المختار) في مكتبة العهد الديني هذا، مما يدل على قدم المعهد، وقد توفي الشيخ (المختار) عام ١٩٦٩م.

مصلى العيد:

جامع الخلفاء الراشدين

يقع إلى الغرب من جامع الخلفاء الراشدين ميدان واسع جميل مصون مغلق عن دخول سائر الناس في غير أوقات الحاجة، وهو منخفض عن المسجد في الموقع، وهو مصلى العيد، ورغم سعته فإنهم ذكروا أنه لا يكفي إلا ربع المصلين صلاة العيد في الظروف المعتادة، وأن الناس يصلون في الشارع الذي يحده من جهة الغرب، وهو شارع (عوت) بمعنى النصر بلغتهم التقرينية، ثم يزيد عددهم فيتجاوزونه إلى ميدان البلدية الذي رأيناه بمظهره جيداً مثل سائر الأبنية والشوارع والأرصفة في قلب المدينة.

وشارع عوت يمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو جيد ذو

أرصفة كلها معتنى بها، ورأيت به بعض الإخوة واقفين، فكلمتهم بالعربية مثل غيرهم، وكأنما أنا في بلد عربي، وطلبت منهم أن ألتقط معهم صورة تذكارية في هذا الشارع، فأجابوا إلى ذلك مسرورين.

ثم قال لي أحدهم: تعال معنا نشَرِّبك قهوة ! ونطق بلفظ نْشَرِّبك - بتشديد الراء -، فشكرتهم على ذلك.

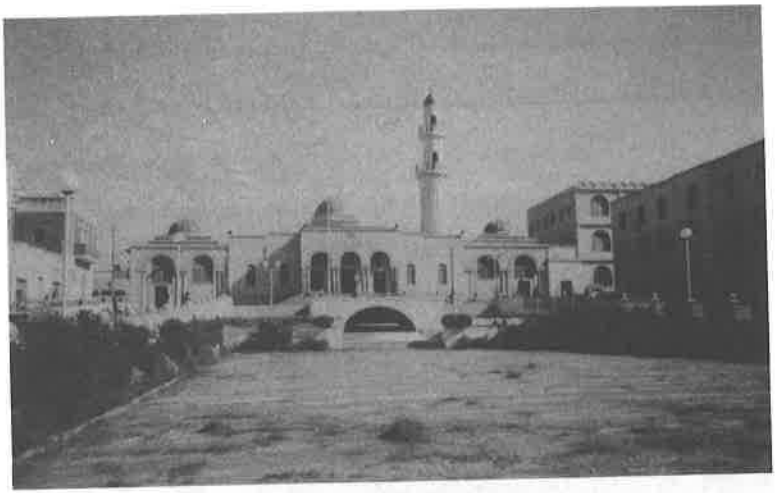

جامع الخلفاء الراشدين في أسمرا

وواصلت السير فيما حول المسجد، فوجدت جميع الحوانيت، وهي الدكاكين فيه عليها لافتات بالعربية وحدها، بالنسبة إلى المحلات الصغيرة، ولكن بعضها تعبيراتها غير مألوفة عندنا، فأحدها عليه لافتة تقول: (تصليح ماكينة الخياطة)، وهذا معتاد، ولكن آخر عليه لافتة نصها (تصليح خياطة) ولم أفهم

المقصود منها حتى فسره المرافقون، بأن المراد بذلك رفو الملابس التي تحتاج إلى (الرفاء) وهو الذي يعيد خياطة الملابس القديمة، أو يصلح ما فسد منها.

وقد كتبوا حتى رقم الرخصة التي حصل عليها صاحب المحل من البلدية باللغة العربية، فيقولون مثلاً: (رقم الرخصة كذا) بالأرقام العربية.

ورأيت طفلاً صغيراً في نحو السادسة من عمره، فقلت في نفسي: هذا هو الذي سوف يتحدث بدون تكلف، فسألته عن اسمه فقال: فَرَج.

مصلى العيد في أسمرا بجانب جامع الخلفاء الراشدين

وهذا يؤكد ما قلته من أن العربية هي لغة الناس هنا في أسمرا دون تكلف.

أما الشوارع الكبيرة والمحلات الكبيرة، فرأيتهم يكتبون أسماءها بالتقرينية تحتها اللغة العربية.

سوق الخضرات والفواكه:

انتقلنا من وسط أسمرا الجيد إلى جانب منها فيه السوق الرئيسي للخضراوات والفواكه، وهو سوق مبني بالإسمنت المسلح على هيئة مظلة عالية السقف، وهو واسع بالنسبة إلى حجم أسمرا وما تعانيه الآن من وضع اقتصادي.

أوقفنا السيارة، ونزلت مع الدليل الذي ناديته ليكون معي في أول الأمر، ظناً مني أنني أحتاج هنا إلى مترجم، ولكن تبين أن الأمر خلاف ذلك، وأن الذي لا يتكلم إلا العربية هنا لا يحتاج إلى مترجم، لأن كل الناس يفهمون من العربية ما يكفي.

وقد تكرر هنا ما حصل لي في (أنجمينا) عاصمة (شاد) حين ذهبت إلى سوق الماشية فيها، لكثرة المواشي ورخص اللحوم، فوجدت أن الجميع منهم يعرف العربية، ولا يحتاج المرء مثلي إلى مترجم.

أول ما عجبت له أول الأمر عندما رأيت الفواكه المتعددة الكثيرة الأنواع في سوق (أسمرا) هذه، وكلها فواكه محلية، أي مما تنتجه البلاد، لأنهم أعجز عن أن يستوردوا الفاكهة الغالية من الخارج.

قسم سوق الحبوب في أسمرا

ولكن بلادهم ذات جواء متنوعة من بلاد جبلية مرتفعة، يشبه جوها من جهة الحر والبرد جو البحر الأبيض المتوسط، لذلك تنمو فيه فواكه المناطق المعتدلة، مثل أسمرا وما حولها، ومن مناطق ذات جو حارّ شديد الحرارة في أكثر أيام السنة، مثل المناطق الساحلية الشرقية إلى ما بين ذلك.

ومن الفواكه الكثيرة هنا وليس المراد بالكثرة مجرد الكمية والمقدار، وإنما المراد التنوع الموز، فهو أنواع منوعة، منه الكبير الذي يؤكل فاكهة، والصغير الذي يؤكل مثله فاكهة، وهو أغلى منه، وفي الموز نوع أخضر، يطبخ طبخاً ولا يؤكل فاكهة، ويبيعون الكيلو من الموز الذي يؤكل فاكهة بنقفتين

ونصف، ويعادل ذلك ثلث دولار.

وفي الفاكهة البرتقال، وأغلبه الأخضر ذو القشر السميك، وفيه الأصفر القريب من المعروف في بلادنا، والأول رخيص جداً، وهو الذي ينبت في المناطق غير الباردة، ورأيتهم في البرازيل يستعملونه للعصر.

وقد جربت عصيره، فإذا هو لذيذ لا يكاد يفترق عن عصير البرتقال المعتاد، وأما أكله فإنه دون ذلك.

ورأيت الطماطم عندهم كثيرة، والذي يظهر لي أنها من إنتاج المناطق المرتفعة من بلادهم.

وفاكهة المناطق الحارة أو القريبة من البحر، وهي الباباي كثيرة رخيصة، وهي فاكهة جيدة كنت ممن يستجيدونها لولا كثرة حبها، وشيء يكون في قلبها كالصدأ مخلوق منها، لا بد من أن أزيله عنها قبل أن آكلها. ويبيعون الكيلو الواحد منه بثلاث نقفة ونصف، ويساوي ذلك نحو نصف دولار أمريكي، وهناك البصل، وهو أنواع عديدة، ومعروض بشكل غير معتاد في كثرته، ورفيق البصل الذي نعرفه بذلك في بلادنا منذ القديم، وهو القرع أيضاً كثير، وهو أنواع، وبمقادير كثيرة رخيصة.

هذا وأكثر الذين يبيعونه في هذا السوق الذي ليس فيه حوانيت تغلق، وإنما بسطات متجاورة، من النساء، وكلهن يعرف العربية، ورأيتهن يبادرن إذا لم أبدا بالسلام بقولهن: صباح الخير،

والذي عجبت له أن الشابات منهن يعرفن العربية جيداً.

وقد رأيت فلاحاً معه بعض الخضرات جلبها للسوق، وهو يعرف العربية جيداً، إلا أن معه بنية في نحو الرابعة، سألتها عن اسمها؟ لم تفهم، فقال والدها: اسمها (أم عُمَر).

لقد طاب لي السؤال عن أشياء غريبة في السوق، لكن المشكلة بالنسبة إليّ أن الحديث كان مع نساء، ولا أدري عن العرف عندهم في الموضوع، وهل ذلك مستنكر أم لا ؟ أما أنا فإن الأمر عندي سيان، فأنا معي المرافقان وعلى جناح سفر، ولكنه الفضول الذي ربما لا يعرف بعضهم المقصد منه، ولا الحكمة فيه.

الحبوب والبقول:

تركت قسم الخضرات والفواكه الطازجة من دون أن أشفي نفسي من معرفة كل ما فيه، وانتقلت إلى قسم آخر من السوق ملاصق للأول، فيه الحبوب والبقول التي نعرف بعضها، وننكر بعضها الآخر.

فالبقول غريبة علينا، حتى إنني رأيت ثلاثة أنواع من العدس، أحدها وهو الأحمر المعروف عندنا، والثاني وهو الأبيض الذي كان أهلنا يسمونه (ماش) مع أنهم لا يستنبتونه، ولكنهم عرفوا تسميته هذه من العراق، والثالث نوع أسود هو غاية في الغرابة بالنسبة إليّ، إذ لم أكن أتصور من قبل وجود عدس أسود.

سوق أسمرا للخضرات والفاكهة

ومثل العدس في التنوع بل أكثر منه تنوعا في هذا السوق (الفاصولياء) التي عرضوا حبوبها أنواعاً، ويعرضون الحبوب في زنابيل - جمع زنبيل - وهو الزبيل، وعندهم مكيال يبيعونه منه بالكيل، وأكثر الحبوب والبقول، إن لم نقل كلها، تباع بالكيل، فالو زن هنا قليل إلا في الفواكه، مع أن الموز رأيتهم يبيعونه عداً، أو بالعذق منه كاملاً.

وكذلك اللوبيا يبيعون حبوبه بكثرة، ونوه القوم بأن ذلك كله وطني، وأنه ليس فيه شيء مستورد.

وحتى الفول رأيت ما نعرفه منه، وهو الفول الشبيه بالمصري إلا أنه أصغر منه حباً، ولكنني رأيت أنواعاً منه معروضة للبيع من

حبوب كبيرة وصغيرة.

ورأيت الحب الذي يصنعون منه الكسرة - بكسر الكاف- وهي خبز مخصوص، فرأيتها تشبه الدخن، ولكنها ليست بالدخن الذي نعرفه في بلادنا، ونعرف منه ثلاثة أنواع ذكرتها في (**معجم الألفاظ العامية**) الذي دعوته بالمعجم الكبير لضخامته.

ورأيت في السوق حبوباً تباع غريبة مثل حبوب (الخروع) الذي يتخذه بعض الناس مسهلاً، وهو الذي يستخرج منه زيت الخروع المسهل المعروف.

ونوع آخر لم أعرف اسمه من قبل، ولا أعرف حقيقته، ذكروا أنه من إنتاج هذه البلاد، وأنهم يستخرجون منه زيتاً اسمه قريب من لفظ (جورحى) مع أنني لا أحقه.

وقال لي بعض الباعة الذين يبيعون حبوباً معروفة كالحلبة والحبة السوداء: نحن نصدر من عندنا أنواعاً عديدة من الحبوب إلى بلادكم.

ومع ما سمعته عنهم من قلة الأمطار في هذا العام، فإن ذلك لم يكن واضحا على هذا السوق، وليس ذلك بالنسبة للحبوب التي يمكن أن تكون مخزونة، أو تسقى بالري، ولكن أيضاً بالنسبة إلى الخضرات والفواكه الطازجة.

ومن مطالعة وجوه البائعات، وفيهن شابات، إلى جانب وجوه الرجال في هذا السوق أو غيره، تبين لي أنهم إذا لم يكونوا بالفعل من أصول عربية، فإنهم من أقرب الناس شبهاً بالعرب، فتقاسيم وجوههم لا تبعد عن تقاسيم وجوه العرب، ولفظهم بالعربية ليس بعيداً، بل ليس مختلفاً عن لفظ العرب، والشيء الذي يبعد بهم بعض الشي عن العرب هو هذا اللون الرمادي الذي لا هو بالسواد الخالص، وليس من البياض في شيء.

إلا أنه يلاحظ أن شظف العيش وقسوته تبين على وجوه أكثرهم، لما عانته البلاد من مشكلات وحروب انعكست على مظاهر الناس، سواء في ملابسهم أو في مظاهر وجوههم، مع أن ملابسهم - والحق يقال - نظيفة، وقلما يرى المرء ما يصدم نظره من ثياب متسخة أو مهملة على بعض الناس على سبيل المثال.

وقد وقفت ملياً في سوق فيه حوانيت مقابل سوق الخضرات، أرقب الناس، فرأيت أن لباس الرجال أكثره ما يسمى بالإفرنجي الخفيف، الذي هو سروال غليظ (بنطلون) فوقه قميص، إلا ما يكون من بعض الشيوخ المحافظين على القديم من مسلمين يلبسون ما يشبه لباسنا، لكنهم يضعون على الرأس عمامة بديلة من (الشماغ) أو (الغترة)، ويكون على كتف الواحد منهم ما يشبه الرداء، كما يفعل أهل اليمن، وما يكون ممن يدعون الوجاهة من قدماء المسيحيين، حيث يكون اللباس الشبيه بالإفرنجي هو السائد، مع وجود قبعة على الرأس، ورداء يغطي الكتفين، مثلما

تفعل نساء النصارى المحافظات عندما يضعن الرداء على أجسامهن، يلففنها من الرأس إلى قرب الركبة.

ورأيت في هذا السوق حركة نقل جيدة، من سيارات أجرة صغيرة، وسيارات نقل صغيرة، وعربات تجرها الخيول أو البغال، يستعملونها لحمل الأشياء الثقيلة.

حي أشاو:

شفيت النفس من رؤية هذا السوق وما حولها، وكنت جلت أمس على المواقع المهمة في أسمرا عندما مرت بها، فلم أطق صبراً على تأجيل الجولة فيها، وبعضها تعرفت عليه لكوني عرفته في المرة الأولى، فخرجنا لرؤية حي شعبي اسمه (إشاو) شارعه الرئيس خالٍ من الأرصفة، والبيوت عليه من الحجارة أو الطين.

ولم نقف أول الأمر في شارعه، مع أنه الرئيس فيه، وإنما قصدنا مقصفاً فيه، على مكان مرتفع بطبيعته، قد انشأوا فيه مقصفاً ومطعماً يشرف على أماكن عديدة من مدينة أسمرا، بل يشرف عليها كلها إذا استدار المرء مع استدارة هذا المقصف الذي فيه شرفة دائرة به دوراناً كاملاً، وقد أحسنوا بذلك صنعاً، لأنهم جعلوا من يريد أن ينظر إلى جميع أنحاء المدينة يستطيع أن يفعل ذلك من الشرفة.

وليس المكان الذي فيه المقصف بالغ الارتفاع، ولكن الحي

نفسه مرتفع بطبيعته.

منظر لأحد أحياء مدينة أسمرا وتظهر فيه مئذنة المسجد

ويرى المرء منه التفاوت الكبير في أحياء أسمرا، فبينما يشرف المرء على الحي الجيد من المدينة الذي فيه مسجد الخلفاء الراشدين، وفيه أبنية أخرى مهمة، يرى أيضاً في جهة أخرى حياً شعبياً حديثاً، بمعنى أنه بني حديثاً، وليس المراد بذلك كونه بني على الطراز الحديث، فالبيوت فيه من الطين المسقف بالصفيح.

والعجب أنني لم أرهم يتخيرون المناطق، أو المناظر الجيدة ليروني إياها، بل إنهم صاروا يروونني كل شيء.

وكان الدليل وهو الذي يعرف العربية جيداً كأنما هو من السودانيين، هو الذي يشرح ويتكلم، أما السائقة التي ليس في منظرها ولا في ملابسها شيء من الإغراء، فإنها صامتة، إلا إذا

تحدثت مع السائق بالتقرينية بما لا أعرفه.

ولقد رأيت مآذن مساجد في أكثر أنحاء المدينة، ومع ذلك لا يزال أهلها يشكون من قلة المساجد بسبب ظروف الحرب التي أفقرت البلاد، وأشغلت أهلها إما بالنزوح عنها، أو بالبحث عن لقمة العيش قبل أي شيء آخر.

ولذلك تبني المملكة العربية السعودية خمسة مساجد في أنحاء متفرقة من البلاد، وهي مساجد تمس الحاجة لوجودها، ولا يستطيع المسلمون بناء مثلها.

حي شعبي في أسمرا سقوف البيوت فيه من الصفيح

عودة إلى قلب أسمرا:

عدنا إلى قلب مدينة أسمرا من أجل الاطلاع على بعض

الأماكن قبل أن نخرج منها إلى ريفها.

انحدرنا من مقصف (أشاو) مع شارع الحي الرئيس، والتقطت صورة للشارع من هذا المكان المرتفع.

ومنازل حي (أشاو) التي رأيناها هي من طابق واحد.

ورأيت في هذا الحي بيوتاً صغيرة جداً، ذكرتني ببيوت تهامة الصغيرة.

وكان ذهابنا إلى قلب المدينة لرؤية جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني، فوجدناه مغلقاً، فقال الدليل: وهذا جيد، لأنكم أخبرتمونا أن وقتكم قصير. فقلت: أنت إذاً كما قيل: ((بركة اللي جت منك يا جامع)).

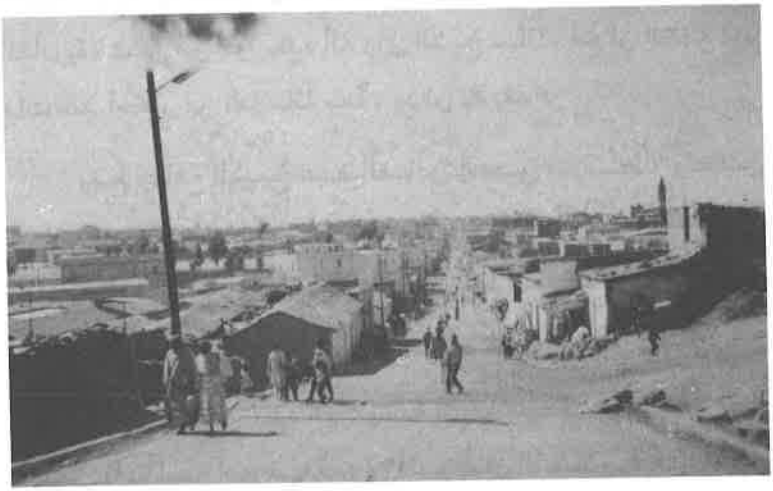

شارع إشان بلو الشعبي في أسمرا

وجامع الشيخ عبد القادر الجيلاني معروف مشهور هنا، وذلك لكون الطرق الصوفية منتشرة، والطريقة القادرية المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني منتشرة هنا، أو ربما كان هذا هو السبب في تسميته بجامع الشيخ عبد القادر الجيلاني، إلا أنني سمعت من أحدهم قولاً غريباً، ذكره لي على سبيل التقرير والإقرار بما فيه، وهو أن أحدهم رأى الشيخ عبد القادر هنا، فأخبر الناس فبنوا في المكان الذي رأى فيه الشيخ هذا المسجد.

ولم يقل الرجل: إن رؤية الشيخ عبد القادر هنا منامية، بل إن ظاهر كلامه أنها حقيقة حسبما يعتقد.

وظني أن أصل القصة أن الذي رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني رآه في النوم، وهو كما قلت الذي تنسب إليه الطريقة القادرية، فظن من أتوا بعده أنه رأى الشيخ عياناً، مع أن الشيخ قد مات منذ أكثر من ثمانمائة سنة، ودفن في بغداد.

يقع جامع الشيخ عبد القادر في حي متوسط، ولكن شوارعه مزفتة، وأرصفته جيدة، ورأيت بالقرب منه كنائس، إحداها للكاثوليك، بناها الإيطاليون عندما كانوا يستعمرون إرتيريا، لأن الكاثوليكية هي مذهبهم.

وعندما رأيت هذه الكنيسة الكاثوليكية ذكرت قول الرئيس (أسياسي أفورقي) لي: إن المسيحيين الأصلاء في هذه البلاد الذين مذهبهم الأرثوذكسي ليست لديهم قوة لبناء مؤسسات

دينية، ولا أحد من الخارج يساعدهم، بخلاف الكاثوليك الذين ساعدهم الأوروبيون، وعلى رأسهم الفاتيكان.

شارع مستقيم في قلب مدينة أسمرا

إلى خارج أسمرا:

خرجنا إلى خارج (أسمرا) للاطلاع على ريفها البعيد، ذاهبين إلى طريق مصوع من أسمرا، وهو طريق مزفت، بل جيد الزفلتة كما رأيناه.

وكان أول ما استرعى انتباهي أن أشجار البرشومي وهي التين الشوكي موجودة بين الحجارة مثلما هي عندنا في منطقة الطائف، وما كان عنه جنوباً، وكنت أعجب من أهل المنطقة التي نزدهر فيها مثل الهدا والشفا، كيف لا يكثرون منها، لأنها تنبت

وتنمو في الأماكن الوعرة بين الصخور، ولا تحتاج إلى سقي بعد أن تتمكن جذورها من التربة، وقلت هنا للدليل: لماذا لا يكثر الناس من غرس هذه الأشجار ذات الثمر الكثير؟ فقال: الناس لا يبالون، والثمر في موسمه يكون رخيصاً.

وقد خرجنا للريف الخالص بسرعة، لأن ضواحي أسمرا ليست واسعة، فممرنا بمقبرة لجنود الحلفاء الذين قتلوا الحرب العالمية الثانية، عندما حاربوا الإيطاليين في إرتيريا التي كانت مستعمرة إيطالية في ذلك الوقت.

الطريق بين أسمرا ومصوع

ثم مررنا بحديقة الحيوان، وليس مظهرها بالجيد، ولا بالمعتنى به، وذكر الدليل السائق أن الحيوان فيها يقل، وذلك عندما قلت: إنني أريد أن أدخلها حتى أشاهد ما إذا كان فيها

حيوان محلي، أو من منطقة الهضبة الإفريقية في هذه الجهة.

ورأيت عناية جديدة في الطريق الذي كان قديماً، ولكنه أهمل إبان الثورة، ثم عادوا الآن للعناية به، ومع ذلك كان رصفه في الأصل قديماً، إذ رأيته يهبط مع الأماكن المنخفضة، ويرتفع في الأماكن المرتفعة، على خلاف الطرق الحديثة التي تكون على مستوى واحد، بحيث يؤخذ من الأماكن المرتفعة، وتدفن الأماكن المنخفضة التي يمر بها الطريق، فيكون على مستوى واحد مثل الطرق في بلادنا.

وكنت سافرت في المرة الأولى من (أسمرا) إلى ميناء مصنوع الذي ينتهي إليه هذا الطريق، ولكنني سافرت بقطار صغير يسمونه (الترينة) غير أنه كان يباري الطريق، وفي ذلك التاريخ البعيد نسبياً كانت كل طريق عندنا جيدة، لأننا لم نكن جربنا الطرق الحديثة الممتازة الموجودة الآن في بلادنا.

هذا وقد أمعنا في هذا الطريق الذي يشق منطقة جبلية، إلاّ أنها ليست وعرة، وليست مستوية، بل هي ترتفع وتنخفض، والجو جيد، فلا هو حار ولا بارد، إلاّ أن الذي ينغص من جمالها أنها ليست خضراء، كما كنا رأيناها في الزيارة الأولى التي كانت في زمن الخريف الذي يلي موسم الأمطار عندهم، وتكون البلاد كلها منه خضراء قد كستها الأعشاب البرية، فضلاً عن المزروعات التي تزرع على المطر.

والسيارات في هذا الطريق قليلة، وربما كان ذلك بسبب الوقت، مع الحالة الاقتصادية المتدنية للبلاد، نتيجة لما ذكرته من قبل.

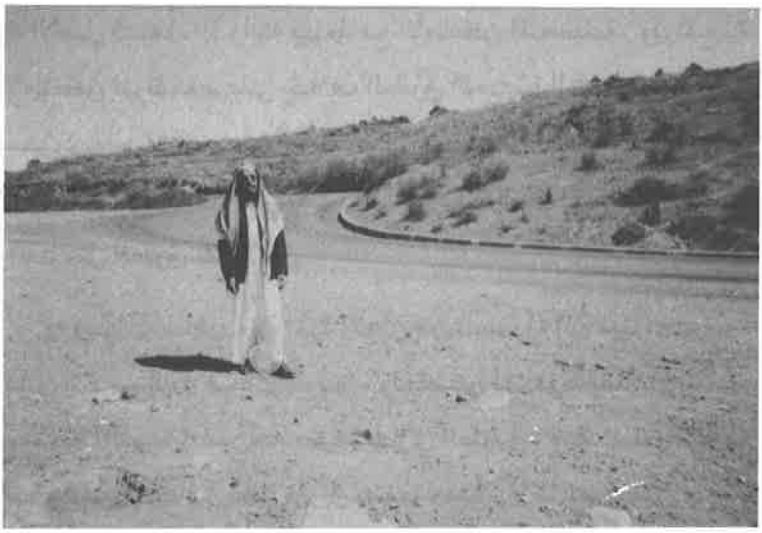

المؤلف عند منحنى في الطريق من أسمرا إلى مصوع

شارع الشهداء:

لم أرَ جديدا في الذهاب أكثر من طريق مصوع، فطلبت من الدليل والسائقة أن نعود إلى مدينة (أسمرا)، وسمعت السائق يذكر اسم سميرة في كلامه مع السائقة، فذكرا أن السائقة لها ابنة واحدة اسمها (سميرة) وأنه يسألها عنها.

عدنا إلى داخل مدينة (أسمرا)، وسرنا مع شارع يسمونه

شارع الشهداء، يريدون بذلك الذين قتلوا في حرب التحرير ضد الإثيوبيين، ويلفظون باسمه باللغة التقرينية (سماتات)، وهذا معنى الشهداء، ولم أجد له أصلاً في العربية، بخلاف (شارع التحرير) الذي لفظه بلغتهم (حرنت)، وخرجناها بأن أصلها (حُرٌّ أنت).

والشارع مستقيم ومزدوج.

الدليل والسائق في شارع سماتات (الشهداء) في أسمرا

عند ما ألقيت نظرة على قلب المدينة وأبنيتها الفاخرة بدت كأنها لا علاقة لها بالريف الذي رأيته، ولا بالأحياء الشعبية في أطرافها.

ومع ذلك يمكن الجزم بأن هذه البلاد تعتبر بلاداً نظيفة، فلا يجد المرء نفايات في الشوارع، أو على الطرق حتى خارج المدينة، وهي بهذا تفوق من حيث النظافة وإبعاد القمامة كثيراً من

البلدان الغنية، أو غير الفقيرة في القارة الإفريقية.

ومن ذلك أنني لم أرَ نفايات في الشوارع أو الميادين لم تبعد عنها كما هي العادة في بعض بلدان العالم الثالث.

وقد رأيتهم يواصلون كنس الشوارع، تقوم بذلك كناسات من النساء، ولم أرَ بينهن أحداً من الرجال، وهن يقمن بعملهن في أول النهار، وما رأيت أحداً من الرجال يقوم بكنس الشارع أو تنظيف غيره، إلا الأخوين اللذين ينظفان جامع الخلفاء الراشدين.

الشارع الرئيسي في أسمرا

وقد انتهت الجولة في الحادية عشرة بالذهاب إلى الفندق، وأردت أن أعطيهم ثمن الجولة فقال الدليل: إنها من مصلحة السياحة، فالسيارة سيارتهم، وأنا موظف عندهم، وقد أمروني ألا آخذ منك شيئاً، فأعطيته مع السائقة ما ظننت أنه ثمن الجولة في

المعتاد، وهم خمسون دولاراً قسمته بينه وبين السائقة، وقلت لهما: هذه لكما خاصة، فشكرا، وانحنيا بالتحية.

وجدت المفتي ينتظرني في الفندق، ومعه بعض موظفي دار الفتوى، فجلسنا في الغرفة، وأعطيت المفتى مبلغاً من المال لدار الفتوى، ومبلغاً خاصاً للصدقة على أناس من المسلمين، ذكروا أنهم لا يجدون ثمن رغيف الخبز، وأنهم لا حيلة لهم في توفير ذلك.

مغادرة اسمرا:

عندما وصلت الساعة إلى الثانية عشرة نزلت إلى مكتب الاستقبال في الفندق لأدفع لهم أجرة الفندق، وكان المفتي أخبرني أنني على ضيافة الدولة، فقلت له: إنني أشكر لهم ذلك، ولكنني لا أقبل أن يدفع عني أحد أجر إقامتي، غير أن أهل الفندق امتنعوا عن أخذ أي شيء مني، وذكروا أن لديهم أوامر من الحكومة لا يمكنهم مخالفتها، تقضي بأنني ضيف على حكومة إرتيريا، لا يجوز أن يؤخذ مني شيء.

شكرت الحكومة على ذلك، وأعطيت الموظفين شيئاً من الحلوان، وهو (البقشيش).

وقد قال لي عدد من المسؤولين في السفارة السعودية وغيرها من رجال الدولة: إنه من النادر أن تستضيف الحكومة الإرتيرية أحداً من الأجانب، بسبب الحالة الاقتصادية في البلاد، ولكنهم

أرادوا بذلك تكريمك.

خرجنا إلى المطار في السيارة الحكومية السوداء المعتادة التي أفهمونا أنها سيارة المفتي، ولا أدري صحة ذلك، إلا أنه كانت تتبعنا سيارة أخرى فيها بعض المدعوين، وكان السفير أخبرني أنهم ذكروا له ألا يرسل لي سيارة، لأنهم سوف يوفرونها، كما كان عليه الحال طيلة الزيارة.

وجدنا في قاعة كبار الزوار المعروفة، أو (صالون) الشرف بعض المودعين أيضاً، منهم سفيرنا الأستاذ عبد الرحمن بن إبراهيم الطعيمي، والأستاذ إبراهيم إسماعيل، وهو أمير الحج الإرتيري هذا العام، ولذلك اعتذر عن قبول دعوة وجهتها إليه ليكون هو على ضيافة الرابطة، وقال: إنني مرتبط بالحجاج الإرتيريين.

جلسنا في القاعة، وأحضروا الشاي وبعض البسكويت.

وعندما حان الصعود إلى الطائرة، كان في وداعي عند سلم الطائرة المفتي الشيخ الأمين عثمان الأمين، وإبراهيم إسماعيل، وإبراهيم آدم، والسفير السعودي عبد الرحمن الطعيمي، ومدير الخطوط السعودية في أسمرا.

ركبنا في الطائرة السعودية التي كانت مقاعدها مليئة بركاب معظمهم من الحجاج، حتى الدرجة الأولى التي ركبت فيها كانت مليئة، وهي من طراز الحافلة الجوية (إيرباص)، واستمتعت بقراءة الصحف السعودية بعد غياب أربعة أيام عنها. وقد

أقلعت في الثانية وعشر دقائق.

وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران إلى جدة سوف يستغرق ساعة واحدة، ومع ذلك قدموا وجبة غداء جيدة. والطيار سعودي اسمه محمد العشي، وهبطت في مطار جدة في الثالثة وعشر دقائق بالضبط .

والحمد لله وحده.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات..... ١٤
تسميتها:..... ٢٦
الموقع والمساحة وعدد السكان: ٢٧
السكان: ٢٨
اللغة: ٢٨
التأثير اللغوي..... ٣٠
أهم المدن:..... ٣٥
المناخ: ٣٥
أ-الهضبة الإرتيرية ٣٦
ب – المنخفضات الشرقية والغربية: ٣٧
ج- المرتفعات الشمالية:..... ٣٧
د- منخفضات بركة:..... ٣٧
هـ- السهل الساحلي: ٣٨
لمحة تاريخية عن دولة إرتيريا ٣٩
أولاً: الوضع السياسي: ٤٠
التأثير الخارجي:..... ٤٦
ارتباط إرتيريا بالجوار:..... ٤٨
التأثير الديني: ٤٩
الشواطئ الإرتيرية ودورها المهم: ٥٠
الوضع الاقتصادي الحاضر في إرتيريا: ٥٨
الوضع الإعلامي: ٦٠
الوضع الأمني الداخلي: ٦٢
علاقة إرتيريا مع المملكة العربية السعودية: ٦٤
النزاع بين إرتيريا واليمن حول جزيرة حنيش الكبرى والصغرى..... ٦٦
الوساطة الفرنسية: ٦٩
النزاع بين إثيوبيا وإريتريا: . ٧٦
موقف إرتيريا من القضايا المهمة التي تهم المملكة العربية السعودية ومنطقة الشرق الأوسط..... ٨١
يوميات الرحلة ٨٣

من جدة إلى أسمرا: ٨٥
في مطار أسمرا:..... ٨٧
نكتة لرئيس إرتيريا:..... ٩١
يوم إجازة: ٩٣
غداء الفندق: ٩٤
صباح أسمرا:..... ٩٦
صباح النحاس الرقيق:..... ٩٩
الاجتماع بدار الفتوى: ١٠١
ماذا لو لم يأت الإسلام ؟.... ١٠٥
المباحثات:..... ١٠٧
في السفارة السعودية:..... ١٠٨
مأدبة المفتي: ١١١
مقابلة رئيس البلاد:..... ١١٣
في مكتب رئيس الجمهورية: ١١٤
المقابلة:..... ١١٦
فضل بلال ﷺ: ١٢٠
العلاقات القديمة بين إرتيريا والجزيرة العربية: ١٢٣
استكمال المباحثات في دار الفتوى:..... ١٣١
مقابلة الرجل الثاني في الدولة١٣٧
جمعة إرتيريا:..... ١٤٦
مأدبة السفير:..... ١٥٠
الطعام المنوع:..... ١٥٤
جولة في مدينة أسمرا وما حولها:..... ١٥٨
البَلَغ الحبشية:..... ١٦٠
الريف غير المعتنى به:..... ١٦٢
ميدان إرتيريا: ١٦٤
العودة إلى جامع الخلفاء الراشدين:..... ١٦٦
مصلى العيد: ١٦٨
سوق الخضرات والفواكه:... ١٧١
الحبوب والبقول: ١٧٤
حي أشاو:..... ١٧٨
عودة إلى قلب أسمرا:..... ١٨٠
إلى خارج أسمرا:..... ١٨٣
شارع الشهداء:..... ١٨٦
مغادرة أسمرا: ١٨٩
الفهرس..... ١٩٣

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

كتب مخطوطة في الرحلات مؤلف

١- رحلات في البيت : رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي.
١٢- إلى إرتيريا بعد ٣٦ سنة.
١٣- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوربية

١٤- البرتغال وبلجيكا وهولندا.
١٥- شمال الشمال: النرويج وفنلندا.
١٦- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٧- من كوبنهاجن إلى كييف مرورا بباريس.
١٨- رحلة الشمال.
١٩- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
٢٠- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
٢١- تجوال في بلاد البرتغال.
٢٢- رحلة الأندلس.
٢٣- زيارات خاطفة لمدن أوربية مختلفة.
٢٤- العودة إلى داغستان.
٢٥- من روسيا البيضاء إ روسيا الحمراء.

الرحلات الهندية

٢٦- على أعتاب الهملايا.
٢٧- رحلات في شمال الهند
٢٨- بلاد الهند والسند: باكستان.
٢٩- في الشمال الغربي من الهند.
٣٠- في أقصى شرق الهند.
٣١- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٣٢- رحلات في بلاد الملايو.
٣٣- في مهد الترك: تركستان الشرقية.
٣٤- في أحناء إندونيسيا.
٣٥- في شمال شرق آسيا.
٣٦- جمهورية قازاغستان: ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣٧- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٨- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٩- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٤٠- العودة إلى البرازيل.
٤١- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٤٢- رحلة الجنوب.
٤٣- شمال البرازيل.
٤٤- وسط البرازيل.
٤٥- فنزويلا وترينداد.
٤٦- فم
الم
٤٧- رد

رحلا

٤٨- وراء
الولايا المتحدة الأمريكية
٤٩- تلبية النداء لزيارة كندا

لى الرحلات الصينية

٥٠- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٥١- المارتينيك وبربادوس.
٥٢- دومنيكا وقوادلوب وأنتيقوا.
٥٣- بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٥٤- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادئ

٥٥- في شمال أستراليا.
٥٦- في جنوب أستراليا.
٥٧- في شرق أستراليا.
٥٨- في غرب أستراليا.
٥٩- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٦٠- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهوريات الموز

٦١- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٦٢- السلفادور والأوبة من كوبة.
٦٣- التشريق بعد التغريب، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٦٤- جمهوريات القبائل الروسية.
٦٥- إقليم أورنبورغ.
٦٦- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٦٧- مة" في السفر إلى منطقة

لابل السيبيرية
ريا.
بيريا.

Dar Altholothia
9789960438863
SR 12.00

ردمك ٤- ٨٨٦ - ٤٣ - ٩٩٦

مطبعة النرجس- ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦